الأسواق الريفية "Nundinae" في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

Rural markets ¨Nundinae¨ in the ancient Maghreb in Roman times

Les marchés ruraux ¨Nundinae¨ dans l'ancien Maghreb à l'époque romaine

توريرت مصطفى[1] *

تاريخ الإرسال: 2020/10/16 **تاريخ القبول:** 2021/05/28 **تاريخ النشر:** 2022/06/01

ملخص: باعتباره وسيلة فعالة لإعادة التوزيع والتكامل الاقتصادي، يمكن تصور السوق الدوري القديم على أنه امتداد لمجموعة من المؤسسات التسويقية التي انتهى بها المطاف مكان السوق الدائم وسط مدينة البحر الأبيض المتوسط. إن السوق الدوري، سواء أصبح ضمن المركز الحضري مؤخرا أو بقي في الريف المفتوح، هو مؤسسة ريفية بحتة سماها الرومان nundinae، فالمقال يعالج هذه الظاهرة التي لها خصائص مميزة عن تلك الموجودة في السوق الحضري، فعندما سيطر الرومان على شمال إفريقيا كملاك للأراضي وكإداريين طبقوا مصطلحاتهم على أنواع مختلفة من مؤسسات التسويق التي صادفوها في إفريقيا، أين تم العثور على نقوش لاتينية في جميع أنحاء الريف المغاربي تشهد على وجود السوق الريفي nundinae على عكس macella و mercatus، ومن خلال هذه الأدلة يمكن للمرء أن يستنتج شيئًا من أهمية ووظيفة هذه المؤسسة داخل النظام الإداري للمقاطعة الرومانية.

الكلمات المفتاحية: السوق الريفي؛ السوق الحضري؛ الفترة الرومانية؛ بلاد المغرب القديم.

Abstract : As a specific means of economic redistribution and integration, the ancient periodic market can be conceived as a distal point on a spectrum of marketing institutions that ends in the permanent market place at the centre of the Mediterranean town. The periodic market, whether it eventually became embedded in an urban centre or remained in the open countryside, was a purely rural institution designated *nundinae* by the Romans. The article deals with this phenomenon that has distinct characteristics from those in the urban marke , When the Romans conquered North Africa as landowners and administrators, they applied their distinctive terminology to the various types of marketing institutions they encountered in Africa. Latin inscriptions attesting the existence of *nundinae*, as opposed to *macella* and *mercatus*, have been found throughout the countryside of the Maghrib, and it is primarily from this body of evidence that one can deduce something of the importance and function of this institution within the Roman provincial administrative system.

Keywords: The rural market; Urban market; Roman period; the ancient Maghreb.

Résumé : En tant que moyen spécifique de redistribution et d'intégration économiques, l'ancien marché périodique peut être conçu comme un point distal sur un spectre d'institutions de commercialisation qui aboutit à la place de marché permanente au centre de la ville méditerranéenne. Le marché périodique, qu'il soit finalement intégré dans un centre urbain ou qu'il reste en pleine campagne, était une institution purement rurale désignée nundinae par les Romains. L'article traite de ce phénomène qui présente des caractéristiques distinctes de celles du marché

*المؤلف المراسل

[1] Mustapha Taourirt, University of Biskra, Algeria, mo.taourirt@univ-biskra.dz

urbain, Lorsque les Romains ont conquis Afrique du Nord en tant que propriétaires fonciers et administrateurs, ils ont appliqué leur terminologie distinctive aux différents types d'institutions de commercialisation qu'ils ont rencontrés en Afrique. Des inscriptions latines attestant l'existence des nundinae, par opposition aux macella et mercatus, ont été trouvées dans toute la campagne du Maghreb, et c'est principalement de cet ensemble de preuves que l'on peut déduire quelque chose de l'importance et de la fonction de cette institution au sein le système administratif provincial romain.

Mots clés : Le marché rural; Marché urbain; Période romaine; Maghreb ancien.

مقدمــة

تشكل الأسواق إحدى أهم الظواهر القديمة والحديثة في حياة الإنسان والمجتمعات والدول، فهي روح المكان وذاكرته السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بدأ استخدامها منذ فجر التاريخ، أي منذ أن بدأ الإنسان يتبادل السلع مقايضة بدأ الناس يعتادون على مكان محدد لذلك التبادل، حيث ترتبط هذه الأسواق بالتجمعات السكنية، وفي حالات أخرى تكون سببا في نشأة هذه التجمعات حولها، فكثير من محطات التبادل التجاري ما لبثت أن أصبحت مراكز تجارية كبرى ثم صارت مدنا، فخير دليل على ذلك تلك المحطات التجارية التي ظهرت على سواحل البحر الأبيض المتوسط خلال فترة ما قبل الميلاد، أو في المناطق الداخلية من بلاد المغرب القديم، وبعد الاحتلال الروماني للمنطقة صارت أكثر انتشارا وتنظيما، فظهرت الأسواق الحضرية اليومية والدورية، وكذا الأسواق الريفية nundinae، منها الأسبوعية والشهرية وحتى المعارض السنوية، لكن تبقى الأسواق الدورية هي في المقام الأول ظاهرة ريفية، وهي نمط محدد للتبادل والتكامل المركزي المعتاد في العديد من المجتمعات القديمة، كانت ولا تزال شائعة حتى وقتنا الحالي، ففي كل المناطق نجد سوق الجمعة، والأحد والخميس ...إلخ، وحتى أسواق موسمية لمحصول أو إنتاج معين، أو حرفة محددة، فهذه الظاهرة تعود إلى فترات زمنية قديمة جدا، وبالتالي فانتشار هذه الأسواق الريفية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية كانت من وراء أهداف مسطرة من قبل روما، وهي إحدى أهم إشكاليات هذه الدراسة، لذا سأحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف عند طبيعة الأسواق قبل وخلال فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، ثم ظهور الأسواق الدورية وشروط انجازها، والدلالات الأثرية والإبيغرافية لوجودها، لأعرج على دورها وأهميتها خلال الفترة الرومانية.

1- مفهوم السوق وأنواعه

يعتبر السوق بمثابة الموقع أو المكان الذي يجتمع فيه الباعة بالمشترين بهدف التبادل أو التعامل التجاري، إذ يطلق على السوق بالأوغارتية makrûma ويعني "التجار"، وبالعبرية والفينيقية والسريانية mkr أي "البيع بالنسبة للأولى والبائع

بالنسبة للثانية والشراء للثالثة"، وبالأكادية يطلق عليه مصطلح "makârum" أي ممارسة التجارة، ومن مشتقات المصطلح أيضا نجد "namkûrum, makkurum"، ويعنى بها "السلع والممتلكات والثروات"، ونجد أيضا "tamkârum" وتعني التاجر (De Meyer L, 1962, p 151, N°20.)، وبالتالي فأصل كلمة Macellum المأخوذة من اللغة التجارية للفينيقيين ذات الأصل السامي، المستمدة من الجذر "mkr" ويعني التجارة، فأخذت التطور الصوتي الموالي: makîrum >makirrum >makerrum >makellum. (De Meyer L, 1962, p 152.).

ومن حيث اشتقاق الكلمة فالسوق –الحضري Macellum– مأخوذ من الكلمة اللاتينية Marcatus، وهي بدورها أخذت من الكلمة اليونانية "Makellos"، والذي يعني مساحة مغلقة (Hamdoune Ch, 2009, p 27)، وفيه من يرى أن كلمة Macellum مأخوذة من macellarius المتعلقة بشؤون السوق والتاجر، أما كلمة macellensis فتعني السكان القاطنين بجوار السوق (De Meyer L, 1962, pp 148-150). أما بالإغريقية القديمة فيكتب بالشكل التالي "μάκελλον"، وكلاهما مشتقان من الأصل السامي الفينيقي(Emout A & Meillet A, 1959, p 375 ; Walde A & Hofmann J.B, 1940, pp. 1-2 ; Boisacq E, 1950, p 602)، ويكون هذا التعامل في أوقات معلومة لدى الناس، ومتفق عليها مسبقا (Rich A, 1883, p 382)، وحسب معظم الباحثين بدأت الأسواق بشكل أسبوعي ومع تزايد الطلب والحاجة بتزايد النمو السكاني أصبحت تنظم بشكل يومي، وكانت تعقد على مستوى الأرياف ثم أدخلت إلى المراكز الحضرية، مع استمرار تلك الموجودة خارج المدن(Marvin Mikesell W, 1958, pp 494-51).

لقد شهدت كل الشعوب القديمة تنظيم أسواق يأتيها الناس من كل المناطق، فبلاد الرافدين على مر الفترات التاريخية كان لها عدة مراكز تجارية، وبها أسواق عديدة، كما أولت مصر اهتماما كبيرا بهذا الجانب، وعُرفت المدن الفينيقية على أنها مراكز تجارية مزدهرة وبها أسواق، ووصف سكان الساحل الفينيقي بأنهم أمة تجارية، ولا يختلف الأمر عن ما هو في بلاد الإغريق، حيث شهدت كريت وأثينا واسبرطة تأسيس أسواق تعرف بالأغورة agorà اليونانية (ἀγορά)، وهي بناء مستطيل، محاط بأعمدة ويحتوي على قاعات للعرض وأخرى للبيع، وفي المجمل أحصي 26 سوقا حضريا بما فيها آخيا وآسيا الصغرى. أما في روما فقد اشتهرت بالساحات العمومية Forum كمكان للتسوق وعرض السلع، واجتماع الناس للتبادل (Gros P, 1996, pp. 450-452)، في شكل محلات عدة تحتضنها الأروقة الجانبية للساحة، وباعتبار هذه الأخيرة تؤدي أدوار عدة سياسية، قضائية، ثقافية واقتصادية، ومع تزايد المؤسسات التي تؤدي هذه الأدوار من مجلس شيوخ ومحكمة، معابد وبازيليكا، وخزينة البلدية، ومكاتب التسجيلات، اضطر التجار إلى مغادرة الساحة العمومية –هناك حالات استثنائية لاستمرار السوق بالفوروم– وإنشاء مرافق السوق الدائمة، أين أقام العديد من التجار والحرفيين المتخصصين في المناطق الحضرية بإدارة أعمالهم على أساس يومي طوال العام، ومن بين أقدم الأسواق الرومانية في ايطاليا نجد سوق

الجزارين Forum Pisicarius وسوق السماكة forum cupidinis الذي يعود لسنة 583م وقد تم نقلهما من الساحة العمومية إلى شمال المدينة (Morel J-P, 1987, pp 137-138)، وكثيرا ما يستخدم مصطلح "capidinis" كمرادف لمصطلح "macellum" لتحديد سوق مخصص، مثلما ورد ذكره عند أبوليوس، خاصة فيما تعلق بسوق السمك، وهي إحدى متاجر لوكيوس Lucius الواردة في كتاب التحولات Métamorphoses (Apulée de madaure, 1848. I, IV, 6 ; Ap., I, V, 4 ; Ap., 1848, I, XXIV, 6-9 ; Ap.,1848, I, XXV, 1-5)، وفي المجمل تم إحصاء أكثر من 26 سوقا حضريا في ايطاليا أيضا، فضلا عن سوق جزيرة صقلية المعروف بـ"مورقانتيناي Morgatinae" ويشتهر بالأغورة الهيلينستية، وبالتالي فخصوصية هذا المعلم–السوق– ومظهره المعماري ووجهته الخاصة، يستخدم في تجارة بعض المواد الغذائية، وهو نشاط أقل جدوى بكثير من نشاط الحياة العامة، ولكنه ضروري للحياة اليومية لسكان المدينة والريف معا (Hamdoune Ch, 2009, p 27).

الأسواق من حيث النوع تقسم حسب مكان إنشاءها إلى؛ أسواق حضرية وهي التي ذكرناها سابقا باسم mercatus أو macellum، وهي تلك المجسدة في المراكز الحضرية سواء على مستوى الأغورة أو الساحة العمومية أو في مكان خاص خارجهما، والأسواق الريفية Nundinae المجسدة في المناطق الريفية المعزولة عن المدن، أما من حيث المدة فالأسواق كانت أسبوعية ثم أصبحت يومية، أما الريفية فقد كانت دورية، ففي روما كانت تعقد مرة في الأسبوع أي أربعة مرات في الشهر، أما في شمال إفريقيا فلا نعلم فيما إذا كانت ذات تقليد محلي أصيل أو أدخل عليه التعديل الروماني، بحيث أصبحت تقعد مرتين كل شهر، إما بالنسبة إلى الكالينداس kalends (اليوم الأول من الشهر) والإيديس ides (اليوم 15 من الشهر)، أو بالنسبة إلى النونيس nones (اليوم 7 من الشهر) والكالينداس، هذا وتقسم أيضا حسب السلع المعروضة، فنجد أسواق للحبوب، وأخرى أسواق الخضر...الخ، سواء بالنسبة للأسواق الحضرية أو الريفية.

2- الأسواق في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني

من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية ظهور الأسواق الحضرية والريفية الدورية أو اليومية في بلاد المغرب القديم، فما هو معلوم أن الليبيون مارسوا التجارة الصامتة خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، ولكن من المرجح أن ظهورها بشكل بارز تزامن بعد تأسيس قرطاجة وقبلها بإنشاء محطات تجارية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ونظرا لقلة الدلائل التاريخية التي تؤكد انتشار الأسواق الدورية في بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني من خلال المصادر المادية والأدبية، فإن الواقع يوحي بأنها كانت موجودة، فالازدهار الاقتصادي الذي شهدته المملكة النوميدية خلال فترة حكم الملك ماسينيسا وأبناءه (203 ق.م–118 ق.م)، وكذا في مملكة موريطانيا التي استمرت طويلا مقارنة بالأولى (206ق.م–40م)، فهي تؤكد تواجد مثل هذه الأسواق سواء بالمراكز الحضرية أو بالضواحي الريفية، حيث يصف ستيفان قزال الوضع التجاري

في المدن ببلاد المغرب القديم قائلا:" كان الحرفيون يعرضون سلعهم في الورشات التي هي في نفس الوقت دكاكين للبيع، وهناك دكاكين أخرى يعرض فيها الباعة السلع المستوردة، وبهذا مكن أهل المدن والقادمين من الأرياف من قضاء حاجياتهم في كل وقت وحين، وفي نفس الوقت كانت تعقد أسواق كبرى في بعض المدن نظرا لموقعها الجغرافي أو لأهميتها، وهي تنعقد في يوم محدد، وغالبا ما يفضل فصل الصيف لتسهيل التنقل وتوفر الغلال لدى الفلاحين بعد حصادها، حيث يجتمعون بالبدو لعرض حيواناتهم مقابل الحبوب، فهناك تعقد صفقات كبرى في القمح والشعير والصوف والماشية، وهناك كان الفلاحون والرعاة يبتاعون حاجياتهم نقدا بعد بيع سلعهم"(Gsell St, 1927, pp 79-80).

ويصف قزال تلك الأسواق التي تقام في الريف قائلا:" السوق عنصر ضروري في الحياة الاجتماعية للبربر... كان السوق ينعقد في أوقات وأماكن ثابتة، ليس في القرى لأن الوصول إليها كان عسيرا، ولأن المجال فيها يضيق للماشية، بل تنعقد في الأرياف، ويفضلون عقدها على تخوم أراضي عدة مجموعات سياسية، فتكون مشتركة بينهما، وللسوق جاذبية كبيرة، حيث يأتيه الناس من بعيد، بشرط المجيء إليه والعودة في اليوم نفسه، وبها تباع المنتجات الزراعية وماشية الجهات القريبة، في عمليات صغيرة بين رجال المنطقة، أما الصفقات الكبرى وذات الأهمية فتجرى بين التجار أو وكلائهم المتنقلين، كما يصل إلى السوق الباعة المتجولين الذين يتحدّون مشقة الطريق وأخطاره.."(Gsell St, 1927, p 60)، ومن جهته يشير محمد العربي عقون إلى أن المدن النوميدية والموريطانية كانت أماكن تقام فيها الأسواق، مثل سوق ماكوداماس –قرب أم البواقي– الذي كان حسبه سوق للنوميد والجيتول منذ عهد الملوك، كما يمكن أن تكون تيفست Thevest سوقا رائجة قبل ارتقائها إلى مصاف مدينة، وبالمثل كانت كيرتا Cirta وباجة Vaga، وإيول Iol، ليكسوس Lixus ووليلي Volubilis مراكز تجارية معتبرة (عقون م، 2008، ص 50).

وفي الواقع كان هناك الآلاف من الأسواق الدورية في الريف الإفريقي في الفترة ما قبل الرومانية(Shaw B.D, 1981, p 49)، غير أنه كما سبق وأشرنا نجد ندرة في الأدلة الأثرية والكتابية التي تؤكد ذلك، خاصة خلال حكم الملوك النوميد والمور، حيث حاول الباحثون وعلماء الآثار في بعض الأحيان اقتراح مواقع الأسواق من خلال ربط عوامل التضاريس بالاكتشافات المادية، حيث يوجد مثال نموذجي لموقع يعود للفترة النوميدية عند سفح كهف السمار على بعد 18 كلم شمال تيارت، إذ يتخذ هذا الموقع مكان استراتيجي على حدود منطقتين اقتصاديتين متميزتين؛ منطقة تختص بالزراعة الشجرية الجبلية والزراعة الجافة في سهول الشمال، وبين منطقة السهوب ذات الخاصية الرعوية إلى الجنوب مباشرة، كما يقع أيضا كهف السمار على طريق مهم يربط الشمال بالجنوب، والذي ظل حتى يومنا هذا أحد أهم الطرق المؤدية إلى جبال قصور، والتي يتبعها كل عام البدو الرعاة في رحلتهم إلى أماكن الصيف شمالا. في هذا المنعطف، اكتُشفت مستوطنة صغيرة أعطت فخار "من النوع الكمباني B" ذو جودة عالية وبكميات كبيرة جدا، وهي تؤرخ بأوائل القرن الثاني وحتى

منتصف القرن الأول قبل الميلاد(Cadenat P, 1972, pp 56-57)، واعتبر من خلالها موقع كهف السمار محطة هامة للتبادل التجاري بين المناطق الساحلية –عبر عدة وديان أهمها وادي مينا Mina وتيغويجست Tiguiguest– والمناطق الداخلية، ولكن يبدو أنه كان مركزًا للتبادل بين البدو والمستقرين منذ فترة طويلة، ويحتمل أنه كان يندرج ضمن المعارض السنوية بدلاً من الأسواق الدورية (Cadenat P, 1972, pp 36-40)، لكن تفاصيل وظيفة هذا السوق في ظل غياب أي مصادر أدبية تمنعنا من تأكيد ذلك.

والمثال الثاني الذي يمكن الاستشهاد به هو سوق باجة Vaga في حوض نهر مجردة الأعلى، حيث ذكره ساليستيوس Salluste بأنه مركز تجاري يقصده التجار والفلاحين من كل أنحاء العالم (Salluste, 2003, 47, 1.)، وقد ثبت تواجد عدد كبير من التجار الإغريق والإيطاليين الذين استفادوا من مرافقها كمركز لقرى هامشية بلا شك، كما هو الحال في مدن أخرى مثل لبدة التي جُسّد فيها سوق يؤرخ بسنة 8-9 ق.م، ويعتقد أنه بناء بوني تم ترميمه خلال الفترة الرومانية (Gsell St, 1927, pp 80-83)، وإلى جانب مراكز أسواق المدن هذه، كانت هناك أيضًا العديد من الأسواق الدورية في الريف؛ ومرة أخرى، لا يمكن المجادلة بهذا الأمر إلا من خلال الاستدلال بالمصادر لتأكيد مثل هذه الأسواق والتي ستظهر بشكل واضح في النقوش اللاتينية خلال فترة الاحتلال الروماني، على الرغم من أننا لا نعرف شيئًا عن وظيفتها المحددة في ظل الملوك الأفارقة (Shaw B.D, 1981, p. 50).

3/- الأسواق الريفية Nundinae خلال الفترة الرومانية

3-1/ مفهوم السوق الريفي: إذا كان من السهل تحديد الأسواق الحضرية من خلال البناء المعماري الخاص والمميز لها، سواء في الأغورة اليونانية أو الساحة العمومية الرومانية، أو كمرافق محددة للسوق بعيدا عن هاتين المؤسستين –الأغورة والفوروم– (Cagnat R, 1915, pp 316-323; Chatelain L, 1911, pp 349-363; Thouvenot R & Liquet A, 1951, pp 81-99)، فإن تحديد السوق الريفي يختلف عن سابقه، ومن الصعب ضبطه. فنظرا لأن هذا الأخير لم يترك لنا أثار مادية واضحة المعالم، مما أدى بنا بالبحث عن بعض الدلائل الأخرى وهي المصادر الإبيغرافية، ومن حسن الحظ أن الرومان والأفارقة –الذين استخدموا اللاتينية– ميزوا بعناية بين نوعي السوق بلغتهم الرسمية، أين تم تعيين السوق الحضري الدائم الموجود في الساحات العمومية forum من خلال مصطلحات mercatus أو macellum، والسوق الدوري الريفي من خلال مصطلح Nundinae (MacMullen R, 1970, pp 333-341).

تم تحديد أوقات التبادل الريفي على عكس سوق المدينة الدائم والدوري، بإطار زمني، أي عن طريق الكلمة اللاتينية nundinae، وأصل الكلمة مشتق من novem و dies، فهي تشير إلى الأسواق التي وقعت اليوم التاسع(Shaw B.D, 1981, p 44)، حيث كانت هذه الدورة في الواقع تمثل الدورة الأسبوعية الإيطالية القديمة المكونة من ثمانية أيام، على الرغم

من أن هذه الأسواق الدورية تمثل ظاهرة ريفية في الأساس(MacMullen R, 1970, p 334; De Ligt L, 1993, pp 33-55; Frayn Jane, M, 1993, pp 1-11)، وتظهر الأدلة الإبيغرافية أن الأسواق الريفية الدورية ظهرت لأول مرة في إيطاليا، أين تم استيعابها بالفعل من قبل المراكز الحضرية، حيث تضمنت إحدى دورات التسويق المعروفة والتي تستند إلى التقاليد القديمة لمدة ثمانية أيام حسب مدن كامبانيا وهي؛ بومباي Pompeii ونوسيريا Noceria وأتيلا Attela ونولا Nola وكوماي Cumae وبوتولي Puteoli وكابوا Capua، وكانت المدينة الثامنة التي أكملت هذه الدورة هي روما نفسها (Shaw B,D, 1981, p 44; A.E, 1928, 115)، وهو إدراج ربما يعكس السيطرة الاقتصادية والسياسية للمدينة الوسطى التي فرضت لاحقًا على إقليم كامبانيا، لكن من الواضح أن الأسواق الريفية الدورية في المدن كانت عملية تنموية لاحقة لها أسباب تاريخية واقتصادية.

وتشير جميع المعلومات الأدبية المتعلقة بالأسواق الريفية في إيطاليا إلى أنها كانت مؤسسة ريفية على وجه التحديد. إذ كان اليوم التاسع مخصص بشكل خاص لسكان الريف، وهو يوم يسافر فيه الفلاحون إلى أقرب مركز مدينة لتبادل منتجاتهم والحصول على الضروريات الخاصة من المنتجات الحضرية وتوصيل المعلومات(Pline, 1980, II 18, 3, 13-14)، حيث ورد عند المؤرخ الروماني ماكروب Macrob وصف دقيق لذلك في قوله :"إن مزارعو سهل اللاتيوم قد حلقوا واستحموا وجاءوا ليوم كبير"(MacMullen R, 1970, p 339)، كما وردت أيضا ثلاث فترات تقام فيها التجارة الموسعة عبر الأسواق الحضرية mercatus مباشرة بعد الألعاب العامة: في الفترة الممتدة من 15 إلى 19 جويلية، بعد الألعاب الأبولونية ludi Apollinares؛ ثم في الفترة الممتدة بين 20-23 سبتمبر، أي بعد الألعاب الرومانية Ludi Romani؛ وفي 18-20 نوفمبر، أي بعد الألعاب البليبينية Ludi plebeii (Degrassin J, 1963, p 377)، وبذلك احتل السوق الريفي والحضري الدوري مكانة بارزة في التقويم الروماني الرسمي، على الرغم من أن مصطلح nundinae -ومشتقاته مثل nundinari و nundinator- قد اكتسب معاني ودلالات أوسع -على سبيل المثال معنى "التسويق، التجارة، السلع"- بسبب هيمنة الأسواق الحضرية، إلا أنها حافظت على إحساسها الأساسي بالدورية والتوجه نحو الريف (MacMullen R, 1970, p 339)، وتؤكد الباحثة هنريات Henriette أن مصطلح Nundinae في إفريقيا يمثل السوق الريفي الدوري الذي تأتي دورته لإحياء وبعث حياة الفلاحين، وربط موقع السوق ببيانات الإسكان الريفي وتجمعاتهم (Pavis d'Escurac H, 1984, p 242).

لقد كانت المناطق الريفية في كل أنحاء العالم القديم تقريبًا -سواء تلك المعزولة، وفي القرى، وفي المدن- تضم مراكز مكتظة بالسكان بحيث لا تتدعم بأي مركز دائم لتبادل السلع؛ ولكن قد يظهر بديل في شكل اجتماع دوري حول دُور المزارعين لبيع فائضهم من الإنتاج ولجذب الباعة المتجولين الذين لديهم مخزونا إنتاجيا أكثر تنوعًا، مثل هذه المواقع التبادلية

لم تترك خيامها ولا مقصوراتها أثرًا لعالم الآثار؛ ومع ذلك، فقد نجد في مفترق طرق منطقة مليئة بالعملات المعدنية والفخار وغيرها من الأشياء الصغيرة التي تشهد على وجود حشود من الناس. فائدة مكان التجمع هذا واضحة، حيث أتاح الأمر تباينًا بسيطًا في نظام الفلاحين من حيث إدخال بعض الكماليات، والوصول إلى المواد الأساسية مثل الحديد والملح والصنائع، ولأسباب تتعلق بزيادة الأرباح أو الضرورة الاقتصادية، إذ لم يكن في الريف سوى محصول واحد بالخصوص هو أشجار الزيتون أو الحبوب، هنا، لا يمكن دعم الحياة على الإطلاق بدون الأسواق الريفية. قد يكون عندئذ أمام مالك الأرض الكبير مسؤولية توفير مركز للتبادل بمبادرة منه، وقد تكون الفيلا الخاصة به بمثابة المكان الذي اجتمع فيه مستأجروه في الأيام أو المواسم المعروفة لشراء وبيع ما يحتاجون إليه، بينما كانت إسطبلاته وساحة فناءه تؤوي التجار بين عشية وضحاها، أو قد يكون المكان محدد من قبل السلطة أو القبائل، وبدلاً من ذلك، يمكن إقامة معرض على أرض مفتوحة، حيث تصبح مجموعة من الأكشاك نوعًا من المراكز التجارية (Brüggemann Th, 2004, p 168 ; Pavis d'Escurac H,1984, pp 242-243).

أما ظهور هذا النوع من الأسواق الريفية في بلاد المغرب القديم، فقد تزامن مع الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا كملاك للأراضي وكمسؤولين في القرون التي تلت التدمير النهائي لقرطاجة سنة 146 ق.م، أين طبقوا هذا المصطلح المميز نفسه على أنواع مختلفة من مؤسسات التسويق التي وجدوها في إفريقيا، حيث تم العثور على تسجيلات لاتينية تدل على وجود الأسواق الريفية الدورية، على عكس fora (الساحة العمومية) و macella و mercatus (السوق الحضري) في جميع أنحاء الريف المغاربي القديم(Shaw B.D, 1981, p 44)، ونجد من الأدلة الإيبيغرافية ما يمكننا من استنتاج أهمية ووظيفة هذه المؤسسة داخل النظام الروماني.

إن المصطلح اللاتيني nundinae تم تطبيقه من قبل الرومان، أو تم تكييفه من قبل الأفارقة، لتعيين الأسواق الريفية في شمال إفريقيا، وبالتالي يمكن اعتباره بمثابة دليل ظاهر على استيراد أو اعتماد مؤسسة إيطالية (Nollé J, 1982, pp 88-151)، ومع ذلك، هناك أدلة تثبت أن هذا ليس هو الحال بالتأكيد، فإن السمة الرئيسية المميزة للسوق الدوري الريفي هي إطاره الزمني، والحدود التي يفرضها هذا النظام الزمني على نظام الأسواق أو "الكل العضوي" الذي ينتمي إليه كل سوق فردي (Shaw B.D, 1981, p 44)، حيث غالبًا ما تشكل الأسواق الحالية في مختلف المناطق المغاربية مثل هذه الوحدات الدورية، وهذا يعني أن الأسواق الدورية في أي منطقة قبلية معينة لا تعمل عادةً بشكل مستقل عن بعضها البعض، ولكنها مرتبة بحيث تُشكل وحدة تَشغيل مُنظمة ومُتناسقة، وبهذه الطريقة تتحول أيام السوق إلى دورات متشابكة بشكل وثيق تضم سبعة أسواق، أين يتم تخصيص يوم واحد لكل سوق خلال الأسبوع، ويمكن أن تصبح الوحدة المشكَّلة بذلك دائرة منتظمة للتجار المتجولين ورجال القبائل من مختلف القطاعات المعنية(Hanotheau A & Letourneux A, 1882, p 78).

ما يميز الأسواق الدورية في بلاد المغرب القديم عن تلك الموجودة في إيطاليا هو الأيام الفاصلة بين كل سوق وآخر، إذ تؤكد كل من البيانات الأدبية والابيغرافية أن الأسواق الدورية الإيطالية كانت تُعقد في دورات متتابعة لمدة ثمانية أيام ثابتة، دورة واحدة تلو الأخرى في ترتيب سلس دون انقطاع، أما دورات الأسواق الريفية الإفريقية الواردة في العديد من النقوش اللاتينية –التي وضعت في مواقع السوق– فهي تظهر عكس ذلك، فهي غير منتظمة إلى حد ما، مع اختلاف المدة الفاصلة من 12 إلى 18 يوما بين السوق والسوق الموالي، وهذا يتوقف على الشهر الذي كانت الأسواق محجوزة فيه، وغني عن القول أن هذه "الدورة" الغريبة للغاية لا يمكن العثور عليها في أي منطقة من الإمبراطورية الرومانية خارج شمال إفريقيا، ويرجع شاو هذا التَمَيُز الملحوظ في الأسواق الدورية الإفريقية المسجلة في النقوش اللاتينية إلى التأثير الخارجي الذي شوه دورتها الأصلية، ذلك أن أكثر التفسيرات فعالية لهذا الاختلاف هو فرض النمط الروماني على نظام السوق الإفريقي الأصلي، ومع ذلك، أيا كان النظام الجديد المستخدم في حساب السوق الدوري الإفريقي (إما بالنسبة إلى الإيديس ides وكالنداي kalends، أو بالنسبة إلى النونيس nones و kalends)، هناك توحيد مطلق في دورات الأسواق الريفية الإفريقية التي يمكن حسابها، أينما وجدت، وأيا كان تاريخها، وأيا كانت التواريخ الفعلية المختلفة في الشهر الذي تَحْدُث فيه أيام السوق، وبالتالي فنحن أمام مؤسسة محلية متكاملة وموحدة في النسق الاجتماعي للحياة الريفية الإفريقية قبل وقت طويل من مجيء الرومان، ولكنه استمر تحت تسمية رومانية لاتينية(Brüggemann Th, 2004, p 159; Shaw B.D, 1981, p 67; De Ligt L, 1993, p 48).

علاوة على ذلك، فإن سجلاتنا –وإن لم تكن كثيرة– تمتد لأكثر من قرنين من الزمان وتأتي من مناطق تزيد مساحتها عن 500 كلم^2، هذا التنظيم الرائع يشير بالتأكيد إلى مؤسسة قديمة كانت تعمل كجزء لا يتجزأ من المجتمع الريفي قبل فترة طويلة من الاحتلال الروماني والتي استمرت في فترة ما بعد الاحتلال تحت علامة لاتينية(Shaw B.D, 1981, p 45)، وبالتالي فإن الأسواق الإفريقية لم تقم وفقًا للتقسيم الإيطالي القديم البالغ ثمانية أيام، ولا وفقا للتقليد السامي الأسبوعي الذي استمر سبعة أيام، والتي كانت سائدة في جميع أنحاء غرب البحر المتوسط بحلول أواخر القرن الثالث الميلادي، بل أصبحت تعقد مرتين في الشهر على فترات غير منتظمة تقريبا، وبذلك يحتمل أن الأفارقة تأثروا في فتراتهم الدورية بالتراكب الحاصل في النظام الروماني لحساب الوقت، نظرًا لأن التباين في الاختلاف الناجم عن النظام الروماني يتقلص إلى دورة متوسطها خمسة عشر يومًا (15+/–3)، هنا، يجب أن نشك في أن الأسواق كانت محتجزة في الأصل إما وفقًا لنمط شهري مرتين كل 15 يوم، أو وفقًا لدورات كل 14 يومًا –أي مرتين كل شهر قمري لمدة 28 يومًا–(Shaw B.D, 1981, p 45).

3-2/ مناطق انتشار الأسواق الريفية على ضوء الدلائل الأثرية والنقوش

بالعودة إلى النقوش التي تم العثور عليها في شمال إفريقيا والتي تؤكد انتشار هذا النوع من الأسواق، فهي تخلد لنا إحدى التنظيمات المهمة التي قامت بها روما داخل المجال القبلي، ويتعلق الأمر بما يعرف بالمعارض السنوية والأسواق الريفية، حيث تخلد لنا نقيشة حسناوة غرب سطيف إحدى أهم اللقاءات القبلية السنوية ذات الطابع الاقتصادي، السياسي، الاجتماعي والديني، والذي كان تحت إشراف السلطة الرومانية لتفادي أي تجاوزات في مثل هذه المناسبات ولتأكيد نوع من الوصاية على المجموعة القبلية، حيث يشير غالبية الباحثين إلى أن روما سهلت عملية دخول الرحل وشبه الرحل إلى المجال الروماني بهدف التجارة وغيرها من الأنشطة ذات المصلحة المشتركة، لذا أدرجت نقيشة حسناوة ضمن هذه السياسة، هذه النقيشة أثارت الكثير من التساؤلات حولها؛ وعدة تحليلات من حيث مضمونها، وأهميتها وأبعادها؟.

إذ نقرأ في نص النقيشة ما يلي(Gsell St, 1893, pp 285-287; Hamdoune Ch, 2018, p 116):

Nundina/ annua quod/ praecepti/ Iouis et Iu/ba et genius/ Vanisnezi / quod precepe/runt dii Ingirozoglezim

السوق (المعرض) السنوي، محدد (مخصص) للإله جوبيتر ويوبا والإله الحامي Vanisnense (آلهة المكان).

وفقا لتعليمات آلهة Ingirozoglenses (آلهة مورية؟)(C.I.L, VIII, 20627)

نفهم من النقيشة أنها تخلد معرض أو سوق سنوي يقام في مكان محدد (Vanisnense) تلتقي فيه كل القبائل المحلية الجبلية منها والمستقرة والبدوية المتنقلة، كما يكشف لنا موقع العثور على النقيشة دقة اختيار المكان، فنقطة التجمع هذه ليست مسألة صدفة بل مرتبطة بمجموعة من الحقائق الجغرافية والبشرية، يوجد هذا الموقع في ملتقى المرتفعات بالسهول المفتوحة على الجنوب، فسهل مجانة يقع بالقرب من المنطقة الجبلية التابعة لجبال البيبان، سهل كبير تحتله المجالات والأراضي الإمبراطورية، وتخترقه ممرات قادمة من المناطق الجبلية والجنوبية وتلك الرابطة بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى ذلك، يُعقد هذا الاجتماع عند نقاط الاتصال بين المناطق المتكاملة اقتصاديًا، ولا سيما الجبل الذي يتميز بمنتوجات خاصة كالزراعة الشجرية والانتجاع صيفا، والوديان التي تُمارس فيها زراعة الحبوب والزيتون والانتجاع شتاء، ومفتوح على القبائل البدوية الجنوبية ومنتوجاتها الحيوانية خاصة والانتجاع الموسمي(Gsell St, 1911, F°15 N°82).

تذكر كريستين حمدون أن مثل هذه الاجتماعات تؤدي وظيفة ثلاثية: إذ كانت تشكل في المقام الأول إطارًا للمبادلات التجارية، كما يبدو من خلال اختيار موقعها الجغرافي أيضا فهي أماكن مقدسة وذات بعد سياسي، فضلا عن أنها أماكن تقام فيها الاحتفالات الدينية، وتجمع القبائل وزعماء العشائر لتحديد موقف مشترك بشأن مسائل ذات المصلحة العامة، ولكن كتجمعات تقليدية لسكان الريف أيضا (Hamdoune Ch, 2001, p 100)، حيث كانت روما تعتبر هذه الأماكن بمثابة نقاط حساسة يمكن أن تنشأ عنها بعض المشاكل، لذا يجب مراقبتها لتأكيد نوع من الوصاية على المجموعة القبلية،

رغم أن نص النقيشة يظهر للوهلة الأولى استقلالا عن السلطات الرومانية، لعدم الإشارة إلى الإمبراطور، أو ممثله في المقاطعة، ومع ذلك، يبدو أنها مستبعدة(Brüggemann Th, 2004, pp. 162-163)، نظرا لأن الحقائق القبلية ورابطة الإله الروماني جوبيتر، والآلهة المورية يعكس ضمان السلطة الدينية الرومانية لحسن سير المعرض السنوي، نتيجة لذلك، لا يحتفل النقش بإقامة المعرض، بل يحتفل بإضفاء الطابع الرسمي عليه تحت رعاية الآلهة الرومانية والمورية والآلهة المحلية بحكم وجودها، وتُظهر هذه الوثيقة كيفية ممارسة السيطرة الرومانية على المنطقة وفقًا للتقاليد القديمة، وتؤكد السلطات الرومانية ضمنيًا وجود أمر واقع في منطقة لا تزال فيها صيانة الهياكل القبلية قوية، بينما تعكس الوثيقة احترام استقلالية القبائل من جهة، والاهتمام بضمان أمن المصالح الرومانية في المنطقة من جهة ثانية(De Ligt L, 1993, p 62; Brüggemann Th, 2004, pp 162-163; Shaw B.D, 1981, pp 44-46, 50-52; Nollé J, 1982, p 154).

أما بالنسبة للأسواق الريفية الدورية فقد كشفت لنا المصادر الابيغرافية على عدد هام منها، ففي نقيشة كبيرة عثر عليها في هنشير ميتيش Henchir Mettich بسهل مجردة الوسطى نفهم منها جانب هام من تنظيم العلاقات بين مالكي ومستوطني فيلا ماغنا فاريانا Villa Magna Variana (C.I.L, VIII, p. 25902 ; A.E, 1952, 209; A.E, 1953, 130; Benzina B.A.Z, 1986, N° 388)، ذكرت فيها أملاك أوكتوناريوس octonarius ager في بداية الوجه الثاني من النقيشة، ومن المرجح أن يكون سوقا أسبوعيا، ويعقد كل ثمانية أيام في هذه المنطقة لفترة طويلة، إذ كان لدى بعض الباحثين الحدس بأنه سوق ريفي(Monnier H, 1898, p 208, N° 38).

أما النقيشة الثانية فقد عثر عليها في Henshir Begwâr أي في شمال غرب سبيطلة بمقاطعة البروقنصلية(C.I.L, VIII, 23246 ; Benzina B.A.Z, 1986, N° 26; Chaouali M, 2002, pp 375-376)، وفي هذه الملكية العائدة للمالك والسناتور لوسيليوس أفريكانوس Senatus consultum de nundinis Saltus Beguensis تم تجسيد سوق ريفي دوري، بعد أن تقدم بطلب رسمي إلى مجلس الشيوخ للحصول على تسريح ius nundinandi لإنشاء سوق دوري في ممتلكاته، وتم إقرار الإجراء بتصويت رسمي من قبل مجلس الشيوخ في 15 أكتوبر من سنة 138م، أين كان موقع السوق مهما جدا عند سلسلة التلال الجبلية الممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي من سهل مجردة، وفي منتصف الطريق بين تالة Thala وسبيطلة Sufetula، حيث يقع هذا السوق عند سفح جبلي بيغوار ودوليب في الجنوب الغربي وجبل تيواشا إلى الشمال الشرقي، أين مثلت ملكية أفريكانوس Lucilius Africanus الحدود الجنوبية الشرقية لمستوطنة كاساي Casae القديمة، والتي يقطعها الممر الوحيد بين الكتل الجبلية أي الطريق الرابط بين مدينتي تالة وسبيطلة (Shaw B.D, 1981, p 55).

هذه المنطقة كانت مأهولة من قبل الموزولام Musulames، وربما كانت تَعْقِد سوقا دوريا بنفس المكان –Casae– قبل مجيء الرومان(Desanges J, 1962, pp 117-121)، وتتقاسمه مع مختلف القبائل الفرعية في اجتماع دوري مرتين شهريًا، ثم تم تعديله من قبل السلطة الرومانية وفقًا للحساب الروماني ليعقد هذا السوق في اليوم الرابع قَبْل النونس nones واليوم الثاني عشر قَبْل كالنداي kalends من كل شهر، كما يوحي اسم المكان نفسه –أي Casae– أنه كان يضم مستوطنة إفريقية صغيرة، ومن المحتمل أن أفريكانوس أضاف المزيد المنشآت التسويقية الدائمة في الموقع لتعزيز وظيفته كمركز مهم ومتصل بعقاره(Shaw B.D, 1981, p 55; Brüggemann Th, 2004, pp 166-168)، حيث كشف لنا ويلمانس من خلال زيارته للموقع عن آثار لبقايا متاجر وآثار هامة للجدران التي كانت تشكل محيط السوق وإطاره العام (Wilmans G, 1875, pp 271-282).

وفي نقيشة أخرى عثر عليها في عين كرمة جنوب غرب قسنطينة تشير إلى وجود سوق دوري ريفي أنشأه موناتيوس فلافيانوس Munatius Flavianus في عقاره الخاص (Charbonnel N & Demougin S, 1976, pp 559-568)، وهو من أرستقراطيي بلدية سيرتا، ويعود تاريخه إلى الربع الأخير من القرن الثالث (Cagnat R,1898, pp 155-159)، بحيث يعقد مرتين شهريًا؛ في اليوم الخامس قَبْل كالنداي kalends واليوم الثالث قَبْل ides، وكان السوق يحتل موقعا استراتيجيا وهاما؛ عند الممر الذي يخترق كتلة جبل تيفرينت، أي بين جبل رربر وجبل ركبة الجمل، هذا الممر يربط بين المنطقة الشبه قاحلة من الجنوب والتلية في الشمال(Soyer Y, 1973, pp 275-292)، وبالقرب منه يوجد مصدر مائي على مدار السنة، حيث كشف لنا قزال عن بقايا حجارة تشكل بناء ربما كان يمثل مكان السوق(Gsell St, 1911, F° 17, N° 184)، وأضيف إلى هذا الأخير تجمع مدني vicus (Shaw B.D, 1981, p. 59).

ما يميز سوق فلافيانوس هو الإعفاء الضريبي الذي تحصل عليه (nundinas ... imniunes)، ويعلل الباحثون ذلك بالموقع الهام الذي يكتسيه، فسوق عين كرمة كان يقع على أحد الطرق الرئيسية التي يتبعها الرعاة الرحل إلى مراعيهم الصيفية شمال تيفرينت، أين تم العثور على بقايا مساكن كبيرة بناها السكان المحليون في فترة ما قبل الاحتلال الروماني بنفس الموقع (Shaw B.D, 1981, p 59)، وهو دليل على وجود اقتصاد رعوي محلي ربما كان له صلات أوسع مع الرعاة الرحل في الجنوب (Cagnat R, 1966, p 117.)، ونظرًا لأن الأنماط الحديثة للحركة البدوية عبر هذه المنطقة تعد دليلًا موثوقًا للطرق التي اتبعت في العصر الروماني، فلا بد أن تكون القبيلة التي تمر عبر عين كرمة هي النيسيبيس Nicibes من حوض الحضنة(Lancel S, 1955, pp 289-298; Berthier A, 1968, pp 293-300)، وبالتالي كانت عين كرمة صلة حيوية بين المستقرين وهؤلاء البدو، وإذا كان الأمر كذلك، فهناك سبب وجيه للاعتقاد بأن الإعفاء من الضرائب الممنوح لهذا السوق "Emadaucapensis" قد ينطبق على الحيوانات التي يتم دفعها شمالًا إلى منطقة التل عن طريق ممر عين كرمة، حيث منح

هذا الإعفاء من قبل الإمبراطور بروبوس(C.I.L, VIII, 2573-2575)، كما اضطر حاكم نوميديا أوريليوس ديوجين Aurelius Diogenes إلى تضمين ذلك في قائمة التعريفة الجمركية لزراية(Trousset P, 2002, pp 355-373; France J, 2014, pp 93-110; Gyédon St, 2018, pp 180-185; Gyédon St, 2014, pp 111-123 ; Morizot P, 2009, pp 158-171)، ذلك أن القطعان التي يتم نقلها إلى الأسواق الدورية في الشمال عبر الحدود الجنوبية لنوميديا كانت معفاة من ضريبة الدخول (pecora in nundinium (sic) immunia).

وفي نفس المنحى، نجد سوق ومجمع مدني آخر في كيرتا، ويعود للمالك فوسفوريوس Phosphorus (A.E, 1913, 226; Toulain J, 1916, pp 62-69; Carcopino J, 1914, p 567; Piquet M, 1916, pp 62-69; Chaouali M, 2002, p 376)، وجسدهما في مزرعته على بعد 50 كلم جنوب شرق المدينة، هذا الموقع مهم جدا، حيث تقع أملاكه وسط سهول خصبة، تنقسم إلى نصفين شرقي وغربي بفعل الفجوة الجبلية الممتدة من عين تراب في الشمال إلى درعة القلعة في الجنوب، على بعد حوالي 30 كلم، يتزود هذا السوق بمنبع عين ملوك (Shaw B.D, 1981, p 62). ففي منتصف الطريق على طول سلسلة التلال تقريبا، بنى فوسفوريوس قرية كمركز لمجاله، وفي لفتة من العظمة الشخصية، سمي هذا المركز باسمه، كما أسس سوقا دوريا في القرية، على الرغم من أننا لسنا على علم بالوتيرة التي حدثت فيها (Piquet M, 1916, p 63)، هذا وقد بنى معبدا للآلهة كايليستيس Caelestis Aeterna ومباني ذات أعمدة وأروقة وأربعة أقواس، وتشييد هذا المعبد كان بهدف منح حماية إلهية لهذا السوق الدوري وإضفاء نوع من القدسية على المكان (d'Escurac, 1984, p 254).

كما تكمن أهمية السوق في وقوعه عند ملتقى منطقتين بيئيتين متميزتين؛ منطقة ذات ري مكثف على طول كتلة الجبل، وتعتمد على إمدادات مياه ثابتة من الينابيع مثل عين ملوك، ومنطقة السهول، ذات الزراعة الجافة، مثل سهل عين عابد من الغرب وتاملوكة من الشرق(Carcopino J, 1918, pp 232-237)، فضلا عن أن موقع السوق يسهل عملية الاتصال بين قبيلة النيسيبيس –البدو الرحل– القادمين من حوض الحضنة(Berthier A, 1968, pp 293-300 ; Lancel, 1955, pp 289-298)، وبين المزارعين المحليين، مثل قبيلة السوبوربور ريجباني والنتابيس Nattabutes، وتوفير الرقابة لحركات الرحل، بالإضافة إلى أنه يقع عند المخرج الشرقي الذي يسمح بالوصول إلى مناطق السهول وإلى الغرب باتجاه سهول سطيف، وبالقرب من تقاطع طريقين رئيسيين في المقاطعة، وهما الطريق الروماني الذي يربط كيرتا بمارسيميني Marcimeni –عين البيضاء حاليا؟–، والطريق الرئيسي بين الشمال والجنوب لسهل تاملوكة، وربطه بعين فكرين في سهل الجنوب مع وادي الزناتي في الشمال(Carcopino J, 1914, p 566; Desanges J, 1962, p 136; Whittaker Ch, 1978, p 347).

ومع بداية القرن الثالث انتقلت الأسواق الريفية من الريف إلى المدينة، إما نتيجة لزيادة درجة التحضر أو برغبة من السلطة الرومانية، حيث تم تحديد يوم واحد من الأسبوع لخدمة المناطق الريفية المحيطة، ومع ارتفاع الكثافة السكانية ومستوى الإنتاج، عادة ما تضيف المدينة يومًا آخر خلال الأسبوع لتشكل دورة تسويقية لا يمكن تمييزها تقريبًا عن سوق المدينة

الدائم، وبرزت بشكل كبير في مدن كمبانيا بإيطاليا(Shaw B.D, 1981, p 66)، أما في بلاد المغرب القديم فقد نظمت هذه الأسواق الريفية على مستوى المراكز الحضرية كالقرى الصغيرة والبلديات والقلاع Castellum، على غرار تلك المجسدة في كيرتا، ففي عهد الإمبراطور أليكسندر سيفيروس قام حاكم نوميديا بوبليوس لونيانوس مارتياليانوس Publius Iunianus Martialianus بتأسيس سوق دوري في كاستيلوم تيديتانوروم Castellum Tidditanorum –تيديس حاليا– وهذا ما نقرأه في النقيشة الموالية:

D(omini) N(ostro) D(omini) (Nostrt) | i]nvic[tissimi Imp(eratoris) (Caes(aris)] | M(arci) Aurel[i Severi Alex(andri) Pii / f]elicis Aug(usti) [et Iuliae| Mamaeae Aug(usti) matris / Arag(asti) nostri) etcastrorum et | Senatus et patriae to/tius (que) | Domus Divinae] nundinae agentur [in | C]astello Tidditan[ou(um) | p]r(idie) kal(endas) et pr(idie) idus sui [cu|i]isque mensis ex auct(oritate)| [P(ublii). I]uli Iuniani Martia|[I]iani leg(ati) Aug(usti) pr(o) pr(aetore) c(larissimi) v(iri) |[c]o(n)s(ulis) amplissimi prae|[s]idis et patroni | nostri | d(ecreto) d(ecurionum).) (A.E, 1942-1943, 7 ; Leschi, 1942, pp 145-159)

نفهم من خلال النقيشة أن السوق كان يعقد مرتين في الشهر، أي في اليوم الذي يسبق kalends ويوم قبل ides، ويشير بيرثي إلى أنه لا ينبغي الخلط بين هذا السوق الريفي والسوق الدائم في الساحة العمومية لتيديس Tiddis التي كانت تقع في الجزء الشمالي من المدينة عند نهاية الكاردو(Berthier A, 1951, p 31)، حيث عثر على النقيشة التي تخلد هذا السوق الريفي داخل البوابة الجنوبية للمدينة، وبعد عقد أو عقدين، أعطى حاكم نوميديا م. أوريليوس كومينيوس كاسيانيوس Aurelius Cominius Cassianus تصريحًا لتأسيس سوق دوري في كاستيلوم ماستارينس Castellum Mastarense –بني زياد حاليا– في سنة 246–247م، وهي قرية صغيرة تقع غرب كيرتا مباشرة، حيث يعقد مرتين كل شهر، في اليوم الثالث قبل kalends واليوم الثالث قبل ides، وهذا ما نفهمه من النقيشة التالية:

Nundinae ha[be]ntur hic in | castello Mastarensi dieu / III kal(endarum) septemb(rium) primarum / et due III idum septembrium / [s]ubsequentium et deinceps // suo quoque mense, ex per/missu / M(acri) Aureli Comini Cas|siani leg(ati) Aug(ustorum duorum) pr(o)pr(aetore) | c(larissimi) v(iri).) (C.I.L,VIII., 6357; Poulle, 1875, pp 357-374)

إذا قارنا بين التواريخ المخصصة لسوق بني زياد Castellum Mastarense وتلك المخصصة لتيديس Castellum Tidditanorum اللتان تبعدان بـ 15 كلم فقط عن بعضهما البعض، ندرك أنه كان مقصودا لتوفير الاستمرارية في أيام السوق بين القريتين، ولتجنب الصدام بينهما، والملاحظة الأخرى هي انتماء بعض الأسواق إلى المدينة على حساب العقارات والملكيات الخاصة الكبرى، نظرًا لقلة المكاسب الجبائية التي تحققها الدولة والتقليل من هيمنة الخواص على الأسواق الريفية (Shaw B.D, 1981, p. 67).

بالإضافة إلى الأسواق السابقة الذكر؛ تفيدنا المصادر الإبيغرافية والأثرية بأحد أهم الأسواق الريفية الدورية في سيرتا بمقاطعة نوميديا وهو سوق أنطونيا ساتورنينا Antonia Saturnina، حيث نقرأ في هذه النقيشة المؤرخة بالقرن الثاني أو الثالث ميلادي ما يلي:

Antonia L(icii) f(ilia) Saturnina uicu(m)/ et nundina(s) V
kal(endas) et V idus sui/ cuiusque mensi[s] constitua
(C.I.L, VIII 8280 = 20077, 20072, 7037; I.L.S, 6869;
Lassère, 1981, pp. 326, n° 137.)

نفهم من هذه النقيشة أن أنطونيا ساتورنينا Antonia Saturnina ابنة لوكيوس كانت تملك سوقا ريفيا ومجمعا مدنيا vicus Pacatensis –نسبة إلى زوجها بكاتيوس– ويقع هذا المركز في عين مشيرة على بعد حوالي 12 كلم شرق سوق فلافيانوس مانيتيوس السابق، عند السهل الجنوبي الغربي لقسنطينة (Gsell St, 1911, F° 17, N° 386)، كان هذا السوق يعقد مرتين في الشهر؛ في اليوم الخامس قَبْل كالنداي وفي اليوم الخامس قَبْل إيديس.

يتربع هذا المركز –الفيلا والسوق– على تلة عين مشيرة، في شكل مستطيل، تقدر أبعاده بحوالي 30م طولا و17م عرضا، حيث يحتوي على 17 غرفة، جيدة البناء (Berthier A, 1942, pp 26-27)، يقع هذا المركز في إقليم قبيلة السوبوربور خلال الفترة الرومانية، وعين مشيرة حاليا تشمل مركز الأراضي التي تسكنها قبيلة أولاد عبد النور (Desanges J, 1962, pp 135-136)، وهذه المنطقة –كما سبق وأن ذكرنا– تقع في مجال جغرافي مميز طبيعيا واقتصاديا، أي بين منطقة شبه جافة في الجنوب وأخرى سهلية تلية في الشمال، تفصلهما كتلة جبل تافرينت Tafrent التي تمتد من الشرق إلى الغرب، والتي تبلغ ذروتها في مرتفعات "ركبة الجمل"، وعلى طول هذه السلسلة توجد فجوات للتواصل بين المنطقتين، وتعتبر عين مشيرة هي الأكثر أهمية في هذه المدينة وأحد أهم هذه المنافذ، وبذلك مَثَلَ سوق أنطونيا ساتورنينا ومجمعها المدني الحدود الأمامية لمنطقتين اقتصاديتين متمايزتين، فضلا عن أنها تسيطر على أحد الطرق الأكثر استخدامًا في سهل قسنطينة (Shaw B.D, 1981, p 61).

من حيث تعمير منطقة عين مشيرة تثبت الأدلة الأثرية على تواجد سكاني قبلي يعود للفترة النوميدية في جميع أنحاءها، من خلال بقايا جدران كبيرة في الموقع؛ أحدهما توجد في الطرف الشمالي للممر والآخر يسد المدخل الجنوبي، غير أن هذه الجدران لم تتحكم في نقاط الدخول والخروج إلى حد كبير، لأنها كانت تشكل حاويات لتجميع الماشية بشكل خاص، وهي تقنية معروفة في المواقع البربرية القديمة، وفي حالات أخرى مثلت هذه الجدران حواجز دفاعية هامة، حيث تضم مستوطنات للرعاة ومصدرهم الرئيسي من المياه (Shaw B.D, 1981, p 61)، أما خلال الفترة الرومانية، فقد حافظت عين مشيرة على أهميتها الإستراتيجية، كونها نقطة المنتصف على الطريق العسكري الرابط بين مستوطنة قدماء الجند بزانة Diana

Veteranorum وكيرتا (Salama P, 1951, p 47)، فضلا عن أنها المصدر الأكثر وفرة من المياه في المنطقة بأكملها، وبالتالي تعتبر من أكثر المناطق استقطابا من قبل البدو الرحل.

5/ الأسواق الريفية الدورية والسلطة الرومانية

لعب السوق الريفي الدوري خلال فترة الاحتلال الروماني عدة أدوار رئيسية، لم تقتصر على الجانب الاقتصادي فقط، وإنما تعداها إلى مهام أخرى نجملها فيما يلي:

5-1/ معايير إنشاء الأسواق الريفية

كانت مواقع الأسواق الريفية تختار على أساس مجموعة من المعايير الطبوغرافية والإستراتيجية، وتعتبر التضاريس ونمط البنية الاجتماعية المحلية العاملين الرئيسيين في ذلك؛ أي إمكانية الوصول "التواصل" والتنوع "التبادل"، ذلك أن المساحات المسطحة تعتبر المكان الملائم لإنشاء هذه الأسواق، حيث يمكن توزيع البضائع وتسهل عملية التقاء التجار والمزارعين بشكل مريح (Chaouali M, 2002, p 383)، خاصة تلك المساحات المتواجدة في ملتقى الطرق الرئيسية، سواء طريق سريع أو طريق يرتاده البدو الرحل أو الرعاة عبر الممرات الجبلية، وذلك لتسهيل التواصل بين مختف القبائل d'Escurac H, 1984, (pp 252, 257)، فاختيار مواقع الأسواق فيما يتعلق بالأراضي القبلية لم يكن عشوائيا، إذ غالبا ما تُجسد عند حدود العقارات الكبيرة التي يملكها الملاك الكبار–عادة بالقرب من منزله– لتسهيل الاتصال بين المستوطنين المستقرين وأولئك الأشخاص الذين يأتون من المناطق البعيدة مثل البدو الرحل(De Ligt L, 1993, pp 175, N° 76.)، كما أن وجود الماء على شكل منابع دائمة ضروري جدا لاستمرار السوق، حيث تضمن هذه المصادر الماء خلال مواسم الصيف وللتنظيف بعد نهاية يوم السوق(Chaouali M, 2002, p 383)، هذا بالإضافة إلى أن الأسواق تجسد في قلب المناطق الخصبة، وهذا ما لاحظناه في موقع سوق موناتيوس فلافيانوس بمنطقة عين الكرمة، وأنطونيا ساتورنينا بعين مشيرة، لوسيليوس أفريكانوس شمال غرب سبيطلة. هذا ويشير الباحث شاولي إلى أن بعض الأسواق كانت تتحرك عدة مرات في السنة، مما سمح بحمايتها من الهجمات وضمان التبادلات، هذا التنقل كثيرا ما يكون في المناطق الرعوية بسبب الانتجاع والتنقل، لذا تم ربط أسواق الريف الصيفية وأسواق الريف الشتوية بالحركة السنوية للقطعان (Chaouali M, 2002, p 384).

العامل الآخر الذي يحدد موقع الأسواق الدورية هو حدود مناطق الإنتاج التكميلي، فعادة ما تجسد الأسواق عند ملتقى منطقتين مختلفتين أو أكثر، فالمرتفعات الجبلية يغلب عليها طابع الزراعة المكثفة والأشجار المثمرة، والانتجاع الصيفي، في حين أن السهول والوديان تميل إلى انتشار زراعة الحبوب والانتجاع النهري الشتوي، والرعي بالنسبة للبدو، وأحيانا ما تجسد عند الخط الفاصل بين منطقة التل والشبه قاحلة، فالأولى هي مجال الزراعة المستقرة، وعادة ما تكون زراعة الحبوب المكثفة، والثانية هي منطقة الري أو "الزراعة الجافة" والرعي البدوي، وهناك العديد من الحدود الصغرى الأخرى التي تتقاطع

مع كل جيب جغرافي صغير في بلاد المغرب القديم(Levaux Ph, 2018, pp 5-102; Shaw B.D, 1981, p 41)، كما يجب أن نضع في اعتبارنا دائمًا أن السوق الريفي ليس سوقًا دائم، وبالتالي يمكن تغيير موقعه، ضمن مسافات معتدلة، وفقًا لاحتياجات أولئك الذين يحضرونه، كما يمكن أن نضيف نقطة أخرى وهي تواريخ انعقاد هذه الأسواق الدورية القريبة لبعضها البعض، حيث يتم التخطيط لتواريخ ودورات انعقادها لمنع أي منافسة بينها، فإلقاء نظرة حول أسواق المنطقة السرتية نلاحظ أنها منحت الفرصة للتجار والباعة للتردد على هذه الأسواق دون تداخل، فسوق قلعتي ريفاش وتيديس الواقعة إلى الغرب من سيرتا تبعدان عن بعضها البعض بحوالي 15 كلم، حيث يعقد سوق كاستيلوم تيديتانوروم بتيديس يوم قبل kalends ويوم قبل ides، في حين يعقد سوق ماستارينس ببني زياد في اليوم الثالث قبل kalends واليوم الثالث قبل ides، والشيء نفسه بالنسبة لسوق عين الكرمة وعين مشيرة، فسوق موناتيوس فلافيانوس يعقد في اليوم الخامس قَبْل kalends اليوم الثالث قَبْل ides، وسوق ساتورنينا الذي يعقد في اليوم الخامس قَبْل kalends وفي اليوم الخامس قَبْل ides.

ومن جهة أخرى كان الجانب الأمني مهم جدا لإنشاء مثل هذه الأسواق الريفية، فمن الطبيعي في نظر الدولة الرومانية أن تمر هذه التجمعات التي يلتقي فيها السكان القادمين من آفاق مختلفة ببعض المشاكل والمشاجرات (C.I.L, VIII, 23246)، حيث لابد من احتواء هذه الأسواق، هذه الأخيرة شكلت نقطة مركزية في شبكة الاتصالات التي توحد الفلاحين بالقرويين والرعاة الرحل، وعلى هذا النحو، غالبًا ما يُعتبر السوق مؤسسة تخريبية محتملة في نظر السلطة السياسية، ومع العدد الكبير للأسواق الريفية الدورية وتنوعها طُرِحت مشكلة الإشراف عليها؛ ومع ذلك، فإن عنصر السيطرة كان ضرورياً للاستغلال السلمي للريف(MacMullen R, 1970, p 333) . وكقاعدة عامة، يجب إضفاء الحضور الروماني على جميع الاجتماعات واللقاءات Collegia التي تعقد على مستوى الريف المغاربي(Waltzing J.P, 1970, pp 14-19)، إذ كان يجب على أي شخص يريد إنشاء السوق الحصول على إذن من الدولة(Hlivelin P, Paul L, 1929, pp 58-59)، وهذا ما تثبته النقائش السابقة، إذ تشير صراحة إلى أن هذه التجمعات المصرح بها كانت لأغراض تجارية بشرط ألا تسبب أي ضرر لأي شخص(Shaw B.D, 1981, p 46; Pavis d'Escurac H, 1984, pp 245-255)، كما يجب ألا تؤدي مثل هذه الاجتماعات إلى تعطيل النظام العام بأي حال من الأحوال(Pavis d'Escurac H, 1984, p 255)، ولهذا السبب كانت القوات العسكرية هي المسؤولة عن حفظ الأمن والإشراف على الأسواق الريفية والحضرية، حيث يتولى اثنان من حاملي الراية ومساعديهم تأمين السوق ويعرفان بـ curam macelli (A.E, I.L.S, 2415 C.I.L. VIII, 18244;) ; 1914, 234)، وبالتالي فإن دور الجيش في المناطق الرئيسية وفي المرافق العمومية كان بارزا جدا وحاضرا (Chaouali M, 2002, p 381, N° 70).

5-2/ السوق كوسيلة للتبادل والثراء

تعددت أسباب ووسائل الثراء خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم، حيث مارس البعض الزراعة الواسعة سواء كانت حبوب أو زيتون، وفيه من اعتمد على صناعة معينة، مثل صناعة المصابيح الإفريقية التي تم توزيعها على نطاق واسع خارج إفريقيا، وبعد أن أصدر الإمبراطور فلافيوس فالانتينيانوس Flavius Valentinianus قانون ينص-سنة 368-375م- على تنظيم الأسواق الحضرية والريفية ازدادت ظاهرة إنشاؤها في كل المقاطعات الرومانية (Chaouali M, 2002, p 378, N° 23)، فرغم قلتها فقد أنشأ أصحاب العقارات والضيعات الكبرى أسواق ريفية دورية في بلاد المغرب القديم، ونظرا لأن السوق له جانب مربح، وباعتبار أن الضيعات والعقارات الكبرى وكذا القلاع المحصنة Cstellum لا يمكن أن تعيش في اقتصاد مغلق، فقد سُمح للسناتور لوسيليوس أفريكانوس بتأسيس سوقا على أملاكه، نظرا لعلاقاته الودية مع زملائه في مجلس الشيوخ، الذي أذن له بفتح السوق، كما أسست أنطونيا ساتورنينا سوقًا ومجمعا مدنيا في حوزتها بعين ملوك، وشيد موناتيوس فلافيانوس سوقا في عين الكرمة وإلى الجنوب منه قليلا نجد سوق فوسفوريوس، وهكذا كانت الأسواق وسيلة مهمة للتبادل وبيع السلع وتحقيق الثراء، وبذلك كانت الأسواق الريفية الدورية مصدر دخل للأرستقراطيين في المدن والأرياف خلال العصور القديمة (Leveau Ph, 1985, p 20)، وإحدى وسائل بيع الفائض الزراعي في عقاراتهم، وبالتالي، فهو يقلل من تكاليف نقل منتجات مجالاتهم إلى الخارج(Morley N, 2000, p 218).

إن السوق الريفي في شمال إفريقيا له جانب مربح، ومن الطبيعي أن نرى أصحاب الأراضي الواسعة Saltus يسعون إلى تأسيسه (Chaouali M, 2002, p 378)، كما كانت الأسواق الريفية فرصة لأصحاب المنازل لفرض ضرائب على السلع المباعة في عقاراتهم (Hlivelin P, Paul L, 1929, pp 58-59)، وضمان التبادل والاتصال بشبكات التجارة الخارجية عبر التجار المهاجرين والأحرار(Brüggemann Th, 2004, pp 171, N° 47)، ومن جهة أخرى تعتبر فترة الأسواق الريفية فرصة لكبار ملاك الأراضي لاستئجار خدمات العمالة الموسمية التي جلبها لهم هؤلاء العمال الزراعيون المتجولون من مختلف أنحاء بلاد المغرب القديم(Pavis d'Escurac H, 1984, p 254)، وبالتالي استغل أصحاب العقارات والضيعات الكبيرة فرصة انعقاد هذه الأسواق للحصول على العمالة الأصلية الرخيصة، كعمال يوميين أو عمال موسميين، حيث كانت المناطق الريفية في نوميديا وموريطانيا على وجه الخصوص مصدر هذه اليد العاملة، والتي تسافر خلال هجراتها السنوية عبر هذه الأسواق لتقديم خدماتها كعمال في الحقول(Fogg W, 1936, pp 47–61; Fogg W, 1938, pp 428-458 ; Fogg W, 1942, pp 47–61).

كان حق إنشاء السوق -أو حق استغلال الفضاء ius nundinarum- يمنح من قبل الإمبراطور بالنسبة للمقاطعات الإمبراطورية، ومن قبل مجلس الشيوخ بالنسبة للمقاطعات السناتورية بتفويض من البروقنصل، ومنذ النصف الثاني من القرن

الثالث، وبسبب ضعف سلطة مجلس الشيوخ، سيطر الإمبراطور على حقوق منح إنشاء الأسواق في جميع المحافظات، وفي بعض الحالات كان لحكام المقاطعات حق منح الترخيص للأفراد (Chaouali M, 2002, p 378)، نظرا لعائداته المعتبرة سواء بالنسبة لصاحب السوق أو تلك التي تذهب لخزينة الدولة، وبذلك كانت الأسواق الريفية فرصة لأصحاب المنازل لفرض الضرائب على البضائع المباعة في عقاراتهم (Shaw B.D, 1981, pp 57-60)، إلى جانب ذلك، كان المالك له السلطة المطلقة على مجاله وأملاكه، وبالتالي على سوقه في إطار احترام القانون المنظم للأسواق، وقد أشاد الشاعر "Nemesianus" بذلك التنظيم الحاصل على مستوى العقارات الكبيرة من قبل أصحابها في قوله:" كُنْتَ تُدير باستمرار نزاعات الفلاحين، وتسعى بصبر إلى تبديد مظالمهم المختلفة. تحت سلطتك، ازدهر حب الريف، وتحت سلطتك احترم القانون، وفَصلت الحدود بين الحقول وبين الحدود مشكوك فيها"(Chaouali M, 2002, p 379, N° 32)، حتى لو لم يذكر الشاعر الأسواق الريفية، إلا أننا نتخيل مدى سيطرة أصحاب العقارات على المستوطنين والمحليين أيام السوق.

إضافة إلى المنفعة الجبائية التي يجنيها صاحب العقار من سوقه، فقد فرضت رسوم جمركية على سلع الأسواق الريفية لصالح مصلحة الضرائب (Charbonnel N & Demougin S, 1976, pp 559-568) ، وكقاعدة عامة، تخضع جميع العناصر المخصصة للتجارة للرسوم الجمركية (Cagnat R, 1966, pp 104-105)، وبالتالي، فإن الأسواق الريفية التي أنشئت في العقارات الواسعة قد سهلت عملية جمع هذه الضرائب، باعتبارها المكان الوحيد الذي يمكن فيه السيطرة على البدو وتغريمهم، خاصة وأنها كانت مسيجة ومزودة بأبواب(Shaw B.D, 1981, pp 57-58).

هذا وتعتبر الأسواق الريفية أهم مكان تلتقي فيها القبائل بغرض التبادل التجاري كهدف أولي ومصالح أخرى ذات طابع اجتماعي وسياسي، وهكذا جذبت هذه الأسواق الريفية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية جزءًا كبيرًا من السكان، حيث جاء التجار والزبائن من خلفيات اجتماعية مختلفة، وخلال هذا المعرض الدوري يلتقي الفلاحون في البلدة بالباعة المتجولين من جميع أنحاء شمال إفريقيا (Chaouali M, 2002, p 382)، فضلا عن وجود التجار الأجانب المشرقيين والإيطاليين إلى جانب التجار المتجولين القادمين من الصحراء(Hamdoune Ch, 2001, pp 100-101).

5-3/ السوق وسيلة للسيطرة على القبائل

نظرًا لأن السوق الريفي كان المكان الوحيد الذي يمكن من خلاله ملاحظة القبائل الريفية المنتشرة على نطاق واسع، فقد أصبح أحد أهم مفاتيح السيطرة على الريف الغير مضطرب حول نقطة الاتصال هذه، فأهمية السوق من الناحية السياسية والعسكرية واضحة، فهو يلعب دور مركز الرقابة الإدارية للمنطقة الريفية المعنية؛ ومحطة للدعاية والاستعلام، ومركز للتحقيق السري عن الشؤون القبلية (Shaw B.D, 1981, p 47)، لذا كان على السلطة حماية هذه الأسواق بهدف تأمين سير هذه التجمعات وحفظ الأمن بالمقاطعات، مما سمح لها بالسيطرة على السكان الرحل وشبه الرحل، خاصة فئة الدوارين

الذين ينتقلون من سوق إلى آخر، مما قد يشكل خطرا محتملا على السلام الروماني (De Ligt L, 1993, p 175)، فضلا على أنه فرصة للتحكم في هذه القبائل المنتجعة وشبه البدوية، نظرا لمدى ارتباطهم الراسخ بأسلوب حياتهم القبلي.

بالعودة إلى مواقع الأسواق السابقة الذكر نجد أن سوق لوسيليوس أفريكانوس الواقع بين تالة وسبيطلة يشكل جزءًا من أراضي كونفيدرالية قبائل المزولامي (Desanges J, 1962, p 120)، وفي هذا الجزء من إفريقيا وقعت الحلقات الرئيسية من لثورة تاكفاريناس"17 و24 م"، حيث دخلت في ما بعد فيما عُرف بالسلم الروماني، لذا لم يكن تأسيسه مجرد صدفة، فقد كان من الضروري أن تعزز الدولة الرومانية قبضتها على الموزولام منذ عهد الإمبراطور تراجانوس من خلال تعيين فلافيوس ماقر كحاكم قبلي praefectus gentium Musulamiorum عليها (Benzina B.A.Z, pp 139-145)، وبالنظر عن كثب في تعامل مجلس الشيوخ مع منح قانون السوق ius coeundi المحدد هنا، يجب الأخذ في الحسبان عاملين إضافيين؛ أولاً، وجود السوق في مكان حساس من الناحية الإستراتيجية في وسط المنطقة الموزولامية، وثانياً من حيث المبدأ في ذلك الوقت، كان هناك دور سياسي معروف بالفعل لسوق ريفي داخل النسيج الاجتماعي القبلي في شمال إفريقيا، لذلك اضطرت القوى المركزية–حتى لو واجهت صعوبة في ظل تلك الظروف– بهدف السيطرة على السوق إلى استهداف النظم الاجتماعية الأهلية، حيث أُجبرت على تجربة هذه الأحداث الخطيرة، والتي سرعان ما أصبحت حافزا لتراكم القوى المحلية حول السلطة الرومانية (Brüggemann Th, 2004, pp 169-170).

هذا ويمثل سوق ساتورنينا الواقع في إقليم قبيلة السوبوربور محطة هامة في السيطرة على هذه الأخيرة، ومراقبتها وترصدها، خاصة تلك الجماعات البدوية الرعوية القادمة من حوض الحضنة خلال فترة الانتجاع الموسمي(Desanges J, 1962, pp 135-136)، فضلا عن الحركات التجارية الحاصلة بالمنطقة، لذا مثلت هذه الدوافع الرئيسية وراء تأسيس السوق الريفي في عين مشيرة (Shaw B.D, 1981, p 61)، خاصة وأنها تقع في قلب الطريق العسكري الرابط بين زانة وكيرتا، إذ بنى الجيش الروماني حصنًا مربعا "50×50م" قريبًا من المكان نفسه(Gsell St, 1911, F° 17, N°386)، وقام البيزنطيون فيما بعد بإعادة بناء الحصن على نطاق أوسع وجعلوه جزءًا لا يتجزأ من خطهم الدفاعي في هذا القطاع من ليمس نوميديا (Graillot H & Gsell St, 1894, pp 508, 590)، وبالتالي قد نلاحظ الصلة الوثيقة بين المراقبة العسكرية وبناء التحصينات، وبين تجسيد مثل هذه الأسواق الدورية، إما عن طريق نقل موقع السوق إلى المناطق الخاضعة للسيطرة العسكرية، أو إنشاء الحصون أو المعسكرات بالقرب من موقع السوق، وعندما يكون هذان الخياران غير ممكنين يتم إنشاء أسواق جديدة في عمق المناطق التي تخضع لسيطرة الإدارة الرومانية (Shaw B.D, 1981, p 47)، أما بالنسبة لسوق فوسفوريوس جنوب شرق مدينة كيرتا فقد كان الهدف منه هو مراقبة قبيلة النيسيبيس Nicibes (Lancel S, 1955, pp 289-290.)، والشيء نفسه بالنسبة لسوق موناتيوس فلافيانوس بعين ملوك، الهادف لتسهيل الاتصال بين المزارعين

المحليين وضواحي قبيلتي السوبوربور والنتابيس(Février A, 1996, p 842)، وسمح أيضا بمراقبة الحركات البدوية، لذلك، وبشكل عام، يعد السوق الريفي أحد عوامل التجمع والتبادل بين المجموعات القبلية ووسيلة للفصل في المجموعات الخاضعة للسيطرة وبين تلك الواقعة تحت خارج السيطرة الرومانية(Hamdoune Ch, 2001, pp 93-104) .

يلخص ستيفان قزال هذه الأسواق في قوله:"لست مضطرًا إلى الشراء أو البيع عند الذهاب إلى السوق: قد تحضر إليه لمشاهدة الأخبار أو التحدث عنها أو جمعها سواء كانت صحيحة أو خاطئة في كثير من الأحيان، أو حتى التشاور في بعض التمردات أو النزاعات"(Gsell St, 1927, p 60)، ومن الطبيعي إذن في نظر الدولة الرومانية، أن يمر هذا التجمع الذي يأتيه السكان القادمين من آفاق مختلفة جدًا بنوع من الرقابة (Chaouali M, 2002, p 375)، وكان لا بد من احتوائه والسيطرة عليه. وكقاعدة عامة، يجب إضفاء الرقابة على جميع الاجتماعات القبلية، حتى لا تَخِلّ هذه الاجتماعات بالنظام العام، وهذا هو أحد الأسباب في تواجد القوات العسكرية على مستوى الأرياف وفي نقاط التجمعات القبلية (Khanoussi M, 2000, pp 1131-1137; Khanoussi M, 1992, pp 319-328).

إذا اعتبرنا موقع حسناوة كمعرض سنوي وسوق ريفي دوري أيضا، فإن موقعها الاستراتيجي في قلب الطرق العسكرية التي تربط سطيف بسور الغزلان، وبالقرب من أهم مصادر المياه في المنطقة، كان اهتمام الدولة الرومانية بالسيطرة على المنطقة بأسرها والحركات السكانية والعلاقات التجارية، ولا سيما تلك التي تعيش في سهول سطيف وجبال البيبان، ومجموعات من البدو الرحل القادمين من الجنوب عبر منخفض الحضنة، وبالتالي كان أحد الأسباب الرئيسية لإنشاء سوق ريفي في هذا الموقع، وهكذا شجع إنشاء الأسواق الريفية الإدارة الرومانية على بناء المباني العسكرية مثل المعسكرات والحصون وأبراج المراقبة، مما سمح بمراقبة الحركات البدوية، لذا كانت القوات العسكرية تُستخدم عادة في أعمال الشرطة ومراقبة الأسواق الدورية الريفية والحضرية (Shaw B.D, 1981, p 56).

يفسر بعض الباحثين الاهتمام الروماني بمثل هذه اللقاءات القبلية بالرغبة في تطوير مركز جذب جديد للسكان، خارج الهياكل القبلية، كما يصاحبه التحكم في حركية الرجال والمبادلات (Brüggemann Th, 2004, p 165)، وبالتالي التدخل المباشر في شؤون القبائل، فضلا على أن إنشاء السوق يأخذ بكل معنى الكلمة في السياسة الرومانية السيطرة على الكونفدراليات القبلية، لأنها –المعارض والأسواق– وفرت فرصة للقبائل لتكوين تحالفات(Hamdoune Ch, 2001, p 102).

يمكن للمرء أن يأسف لعدم وجود أي وثائق أخرى مماثلة لتلك التي في حسناوة أو في عين مشيرة وعين الكرمة، والتي تشهد على حد سواء بديمومة الهياكل الاقتصادية والدينية للقبائل وعلى الطريقة التي تمارس بها روما تأثيراتها في المناطق الريفية، ومع ذلك، فإن المواجهة بين مختلف المصادر تجعل من الممكن ملاحظة أن نقاط التجمع الدورية للقبائل أو

الجماعات القبلية لم تفلت من يقظة الرومان، وفي هذه الحالة، أظهروا نفس البراغماتية كما هو الحال في المجال الإداري، ولكن أيضا، من خلال تأكيد وجودها في هذه الأماكن لإظهار رغبتها في ضمان السيطرة على الفضاء القبلي.

5-4/ السوق الدوري والقبائل المحلية

إضافة إلى الأدوار السابقة التي يؤديها السوق، يعتبر أيضا مكان لإجراء الأعمال السياسية المشتركة للقبيلة برئاسة زعيمها، كما يُنظر خلاله في المسائل القانونية تحت رعاية خبراء في القانون العرفي، وفيه تحل النزاعات السياسية والاجتماعية بين أعضاء القبائل وبين القبائل التي نشأت منذ السوق الأخير(Croix G. E. M, 1975, pp 90-93) وبالتالي فإن السوق بمثابة رابط حاسم في هيكل السلطة السياسية للقبيلة، إنه-السوق- المكان الواضح للاتصالات السياسية مع الوحدات الإثنية الأخرى يقول بريجيمان (Brüggemann Th, 2004, p 157)، وهو المكان الذي يمكن فيه للزعماء عقد التحالفات مع جيرانهم، وهو مكان لمشاهدة الأخبار أو التحدث عنها أو جمعها سواء كانت صحيحة أو خاطئة في كثير من الأحيان، أو حتى التشاور في بعض التمردات أو النزاعات كما ذكر قزال سابقا(Gsell St, 1927, p 60).

ومن جانب آخر كان للسوق الريفي تأثير مهم على الناحية الثقافية لشعوب شمال إفريقيا، ففي ما يتمثل ذلك؟ لقد أصبح مصطلح Nundinarius كاسم يحمله الكثير من الأشخاص، فالاسم –حسب شاو- ليس من أصل إيطالي؛ إذ لم يتم العثور عليه هناك باستثناء ثلاثة أشخاص في مدينة روما، ويبدو أن الأشخاص الذين يحملون هذا الاسم كانوا مهاجرين؛ أحدهم من المحتمل أن يكون إفريقي، في حين فضل الإيطالي أن يتبنى الاسم الشخصي "مركاتور Mercator"، وبقي اسم "Nundinarius" صفة أجنبية على حد تعبير شاو (Shaw B.D, 1981, p 68)، حيث خلفت لنا النقوش أكثر من 40 شخصا يحمل هذا الاسم في إفريقيا، وحوالي 15 اسما في مختلف مقاطعات الإمبراطورية (Kajanto I, 1965, pp 18, F° 221 ; Shaw B.D, 1981, p 68)، لذلك يبدو من المحتمل أن تكون هذه الكنية مثلها مثل العديد من الكنى في إفريقيا، مجرد ترجمة لاتينية أو ما يعادلها لاسم إفريقي له نفس المعنى، حيث كشفت دراسة استقصائية للأفارقة –أجراها شاو- الذين حملوا هذه الكنية على أنهم كانوا من الفئة الأقل ترومنا؛ باستثناء واحد فقط كان موظف على مستوى البلدية، وكان من الجنود القدامى على مستوى مستعمرة عسكرية، وكذا عثر على تسعة آخرين يحملون كنية نونديناريوس، واسم يوليوس في بلدات كانت مراكز للفيلق الأغسطي الثالث(C.I.L., VIII, 1916, 2248, 17096, 16970, 27866; I.L.Afr., 177, 479) مثل يوليوس نونديناريوس Iulius Nundinarius في حيدرة (C.I.L VIII, 11598)، ويحتمل أنه من أصل "جيتولي"، أي أولئك الذين منحهم يوليوس قيصر حق المواطنة وشكلوا أحد العناصر الأساسية للفيلق الثالث في إفريقيا فيما بعد (Shaw B.D, 1981, p 68 ; Gascou J, 1969, pp 537-599. ; Gascou J, 1970, pp 723-736)، فضلا عن أشخاص آخرين يحملون الاسم الثلاثي، مثل تيبيريوس كلوديوس نونديناريوس Ti. Claudius Nundinarius (C.I.L

.VIII, 4734 ; I.L.Alg., I. 2346) ويعرف والده باسم تيتوس كلوديوس هونوراتوس Ti. Claudius Honoratus وأمه يوليا مونينا Iulia Monnina من أصل إفريقي، بالإضافة إلى آخرون يحملون تسمية إفريقية بحتة مثل ماركوس نومو M(arcus) Numis (C.I.L VIII, 20214.)، ونونديناري فيليوس Nundinari filius (C.I.L VIII, 5060).

يقدم الباحثون جملة من التفسيرات لانتشار هذه الكنية في بلاد المغرب القديم، حيث أرجعها البعض إلى الانتشار الواسع للأسواق الريفية، وإلى وجود صلة بين الشخص الذي يحمل الاسم والسوق نفسه، وبالتالي فهذه الكنى لا تمنح عند الولادة وإنما تكتسب لاحقا، حيث سعى الأفارقة للحصول على "اسم" لاتيني بجانب اسمهم الإفريقي(Shaw B.D, 1981, p 68)، ومن المؤكد –يقول شاو– أن النساء الأربع اللائي تم تسميتهن "نونديناريا" ربما اكتسبن أسماءهن إما من خلال وجودهن المستمر في الأسواق الدورية أو لعملهن في أكشاك السوق(C.I.L VIII, 15702, 17006, 28033; I.L.Alg., II, 2238, 2531)، وفيه من ربط هذه الكنية بالآلهة المخلدة في النصب والشواهد الجنائزية، وبدرجة كبيرة للإله ساتورن، حيث أقام سيليوس نونديناريوس C. Silius Nundinarius إهداءا نذريًا لساتورن أغسطس Saturnus Augustus في قالمة Calama (I.L.Alg., I. 189 ؛ C.I.L VIII, 5304)، كما نجد شخصين آخران يحملان هذا اللقب وهما: بونتيليوس نونديناريوس Pontilius Nundinarius للإله ساتورن المقدس sacerdos Saturni في عين تونقة Thignica بالبروقنصلية (C.I.L VIII, 8452)، ويوليوس C. lulius Nundinarius في شاهد نذري بمعبد ساتورن بسطيف (C.I.L VIII, 115006)، أين قدمت بعض التفسيرات لهذه العلاقة الموجودة بين كنية "نونديناري Nundinarii" والإله ساتورن، باعتبار حاملي هذه الكنية هم كهنة مرتبطين بعبادة الإله ساتورن أيام السوق؟ مع الأخذ بعين الاعتبار جوبيتر–ساتورن كآلهة حامية للسوق السنوي في حسناوة، ومنه فإن هؤلاء الكهنة كانوا يؤدون الطقوس في أماكن السوق (Shaw B.D, 1981, p 69).

وخلال منتصف القرن الرابع ميلادي شهدت نوميديا عدة أحداث ذات طابع ديني اجتماعي فيما عرف بالحركة الدوناتية والثورة الريفية، والتي كان مركزها الريف النوميدي، إذ كان وراءها الفلاحين والتجار المتنقلين الناشطين على مستوى الأسواق الريفية والحضرية، وبالتالي كانت الأسواق مركزا لشبكة من الاتصالات المحلية بهدف دمج الحياة في الريف. حيث تتم الاتصالات –ليس فقط من– خلال اللقاءات الغير رسمية بين رجال القبائل ولكن أيضًا بوسائل أكثر رسمية مثل الجمعيات السياسية، وبالتالي كان السوق محطة مهمة للإعلان عن "الأخبار" ولعمل السعاة، ووسيلة للاتصال والتبادل والتجارة وكمكان ديني مهم، وكآلية للسيطرة الاجتماعية (Shaw B.D, 1981, p 70)، كل هذه الجوانب المتكاملة للسوق الإفريقي تتضح بشكل بارز –كما سبقت الإشارة– في الأحداث التي عرفها الريف النوميدي في منتصف القرن الرابع ميلادي، ففي هذه الأحداث ثبت تورط بعض الأساقفة والكهنة والشمامسة في الأسواق الريفية رغم تحذيرات الكنيسة

الإفريقية لهم بمنع أي اختلاط أو تشابك أو أعمال ربحية كبيرة في الأسواق، فإضافة إلى وجود شمامسة حملوا اسم "نونديناريوس Nundinarius" في مدينة كيرتا (المبكر، 2001، ص 173)، فقد أشار كبريانوس إلى الأساقفة والأسواق الدورية حين تحدث عن تقاعسهم في أداء واجباتهم الدينية أثناء قيامهم بجولات عبر الأسواق الدورية(Shaw B.D, 1981, p70).

ومن جهته تحدث أوبطا الميلي عن الأسواق الريفية، حين تناول أحداث بغاي سنة 347م، حيث أرسل الإمبراطور كونستانس مبعوثان عنه، وهما بولس Poulus ومكاريوس Macarius إلى نوميديا لوضع حد للفرقة الدينية في إفريقيا، وذلك بِحَثِ الكنيسة الكاثوليكية والدوناتية عن الرجوع إلى الوحدة، غير أن مهمة المبعوثان تعقدت بعد توغلهما في نوميديا الجنوبية، ويصف أوبطا الميلي تلك الحادثة في قوله:"عندما اقترب المبعوثان من مدينة بغاي، اعتزم أسقفها الدوناتي –المسمى دوناتوس– وهو عدو الوحدة الدينية عدم الرضوخ لهما ومقاومتهما، ثم بعث بالمنادين praecones إلى ضواحي المدينة وإلى كل الأسواق الريفية Nundinae كي يستدعي الدوارين المناضلين Circumcelliones agonisticos إلى التجمع في مكان عينه لهم" (Milev, III, 4)، وما يمكن استنتاجه هنا هو أن الدوارين كانوا يجتمعون في العادة بالأسواق الدورية لتنظيم أمورهم وتناقل الأخبار وحتى القيام بأعمال عسكرية ضد الاحتلال الروماني، مما سهل على دوناتوس الاتصال بهم وتجميعهم، وهي الإشكالية التي عانت منها الكنيسة الإفريقية في محاولتها للسيطرة على التجاوزات العنيفة للعمال المتجولين في الأسواق الدورية جنوب شرق نوميديا؛ وهو ما استدعى اللجوء إلى السلطة المدنية لاستعادة النظام، من خلال تدخل كونت إفريقيا تورينوس Taurinus، ونقرأ عند أوبطا الميلي مايلي:" ... وقد جلبت تلك التصرفات الحقد على أساقفة حزبكم، فبعثوا برسالة إلى الكونت توريتوس يخبرونه فيها أن مثل هؤلاء الناس لا يمكن إرجاعهم إلى الصواب... واستجابة بهذا الطلب أرسل تورينوس جنودا مسلحين إلى الأسواق حيث اعتاد الدوارون القيام بأعمالهم الخرقاء"(Milev, III, 4).

خاتمـة

لم تكن الأسواق الريفية في بلاد المغرب القديم وليدة الفترة الرومانية، فكثير من الإشارات توحي بوجود مثل هذه الأسواق خلال فترة الممالك المحلية، لكن روما أعطتها أكثر تنظيما، فانتشرت في معظم الأرياف، حيث خلدت لنا النقوش عدة أسواق بمقاطعة البروقنصلية ونوميديا ومعرض سنوي بموريطانيا القيصرية، حيث تحولت الأسواق الريفية من مكان للتبادل والربح إلى ما أسماه أوبطا الميلي بالدعاية "البيضاء"، أي مكان لاجتماع العمال الريفيين بالعمال الموسميين خلال فصل الصيف، فكانت الأسواق الريفية قناة طبيعية للاتصال والتي أدت إلى حدوث الاضطرابات الاجتماعية في شكل حركة دينية اجتماعية فيما عرف بالحركة الدوناتية والثورة الريفية، ومن جهة أخرى لم تكن الأسواق الريفية سببا في ظهور التجمعات المدنية Vici والقلاع Castella، ولكنها ساهمت في تنشيط حركية هذه القرى وتنميتها، وشكل تأسيس السوق الريفي الدوري عنصرا مهما في تطوير مركز القرية من الناحية الاقتصادية والقانونية على حد سواء، كما يسهم السوق الدوري في

النشاط الاقتصادي للمركز المأهول من خلال الجمع بين الوظيفة التجارية والوظيفة الزراعية الدائمة، ويعطيه الطابع ما قبل الحضري مع إنشاء نزل أو فندق لاستقبال التجار الأجانب Advenae والمحليين Vicini، ويضاف إلى أساسيات هذا التنظيم المدني قانون السوق Ius Nundinarum ليشكل التكتل ما قبل البلدي "قضاة Magistrats، الشخصية القانونية personnalité jiridique، وIus legatorum capiendorum"، أي مرحلة من التطور القانوني للقرية، ومع ذلك، في وسط هذا الريف المعزول، لم ترقى أي من هذه التجمعات التي تضم أسواق ريفية إلى مرتبة مدينة حقيقية، ومع ذلك يمثل هذا النشاط الاقتصادي الدائم من خلال السوق الريفي الدوري لمحة عن نشاط سكان الريف وأساسا لحياة الارتقاء الحضري والصحوة لبداية حياة المدينة.

قائمة المراجع باللغة العربية

1- عقون محمد العربي، (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

2- المبكرمحمد، (2001). شمال إفريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية "305-429م"، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

1. Apulée de madaure, (1848). métamorphoses, œuvre complètes, tr: Victor Betolaud, Ed Débouchet, Paris,
2. Benzina Ben Abdallah Z, (1986). Catalogue des inscriptions latines païennes du Musée du Bardo (Coll. EFR, 92), Rome,
3. Benzina Ben Abdallah Z, (1992). Du côté d'Ammaedara (Haïdra): Musulamii et Musunii Regiani. In: Ant. Afr., N° 28, pp. 139-145.
4. Berthier A, (1942). Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger.
5. Berthier A, (1951). Tiddis, antique Castellum Tidditanorum, Alger.
6. Berthier A, (1968). Nicibes et Suburbures : Nomades ou sédentaires ?, B.A.A., N° 3, pp 293-300.
7. Bertrandy F, (1991). Notes à propos d'un fundus (C.I.L., VIII, 6351) de la région de Cirta (Constantine) en Numidie. In: Ant. Afr., N° 27.
8. Boisacq, E, (1950). dictionnaires étymologiques de la langue grecque, 4e éd., Heidelberg.
9. Briand-Ponsart C, (2003). Les Dames et la terre dans l'Afrique Romaine, Association d'histoire des sociétés rurales « Histoire & Sociétés Rurales», Vol. 19 (1er Sem).
10. Brüggemann, Th, (2004). Nundinae als Bindeglied zwischen römischer Administration und indigenen Gesellschaften im antiken Nordafrika. in: Bernhard Streck (Hg.): Segmentation und Komplementarität. Organisatorische, ökonomische und kulturelle Aspekte der Interaktion von Nomaden und Sesshaften. Beiträge der Kolloquia am 25.10.2002 und 27.06.2003, (Orientwissenschaftliche Hefte 14; Mitteilungen des SFB, Differenz und, Integration.
11. Cadenat, P, (1972). Un établissement pré-romain dans la région de Tiaret (Oranie), Ant. Afr., N° 6, Aix, CNRS.
12. Cagnat R, (1898). Découvertes épigraphiques des brigades topographiques de l'Algérie et de Tunisie en 1897, B.C.T.H.

13. Cagnat R, (1996). Étude historique sur les impôts indirects chez les Romains jusqu'aux invasions barbares, Rome.
14. Cagnat, R, (1915). Le marché des Cosinii à Djemila“, in: CRAI, pp 316–323.
15. Carcopino J, (1918). Note d'archéologie algérienne, II, Encore l’inscription d’Ain-Malouk, BCTH, pp 232-237.
16. Carcopino J, (1914). Deux inscriptions du département de Constantine récemment publiées, BCTH.
17. Chaouali M, (2002). Les nundinae dans les grands domaines en Afrique du Nord à l'époque romaine. In: Ant. Afr., N° 38-39.
18. Charbonnel N, Demougin S., (1976). Un marché en Numidie au III^{e} siècle après J.-C., Revue historique de droit français et étranger, N° 54, pp 559-568.
19. Chatelain L, (1911). Le macellum de Mactaris“, in: MEFRA., N° 31, 1911, pp 349–363.
20. De Ligt L, (1993). Fairs and Markets in the Roman Empire. Economic and Social Aspects of Periodic Trade in Pre-Industrial Society, Gieben J.C biblisher, Amsterdam, pp 33-55.
21. De Meye, L, (1962). L'étymologie de Macellum « Marché ». In: L'antiquité classique, T. 31, fasc. 1-2, pp 148-152.
22. Degrassin A, (1963). Inscriptiones Italiae, 13, 2, Rome.
23. Desanges J, (1962). Catalogne des tribus africaines de l’antiquité classique à l’ouest de Nul, Dakar, publication de la section d’histoire.
24. Ernout, A, Meillet, A., (1959), dictionnaires étymologiques de la langue latine, 4e éd., Paris.
25. Février P-A, (1996). Observations sur la tribu dans le Maghreb antique. In: La Méditerranée de Paul Albert Février, Rome : École Française de Rome.
26. Fogg W, (1936). The Economic Revolution in the Countryside of French Morocco“, in: Journal of the Royal African Society, N° 35.
27. Fogg W, (1938). A Tribal Market in the Spanish Zone of Morocco, Africa: Journal of the International African Institute, Vol. 115 (N°4) Cambridge Univ. Press.
28. Fogg W, (1942). The Organization of a Moroccan Tribal Market“, in: American Anthropologist 44, pp 47–61.
29. France J, (2014). Normes douanières et réglementation des échanges. Trois questions simples sur le tarif de Zaraï (Numidie), Ant .Afr., N° 50, pp 93-110.
30. Frayn Jane M, (1993). Markets and Fairs in Roman Italy, Oxford Univ. Press, Oxford, pp 1-11.

31. Gabba, E, (1975), Mercati e frere nell'Italia ramana. Studi Classici Orientali, N° 24.
32. Gascou, J, (1969), Inscriptions de Tébessa, M.E.F.R., N° 81-2, pp 537-599.
33. Gascou, J, (1970), Le Cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afrique romaine, M.E.F.R., N° 82-2, pp 723-736.
34. Gros, P, (1996), L'architecture romaine. 1. Les monuments publics, Paris, Picard.
35. Gsell S, (1893). Recherches archéologiques en Algérie. Paris.
36. Gsell S, (1901). Les Monuments antiques de l'Algérie, I, Paris, ancienne librairie thorin et fils albert fontemoing.
37. Gsell S, (1927). H.A.A.N, t. VI, Paris, Libr. Hachette.
38. Gsell S, Graillot H, (1894). Exploration archéologique dans le département de Constantine (Algérie). Ruines romaines au nord de l'Aurès. In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, t. 14, pp 508, 590.
39. Gsell S, (1911). A.A.A., T. I, 1, Alger, éd. Adolphe Jourdan.
40. Gyédon S, (2014), La *Lex uestis peregrinae* dans le tarif de Zaraï, Ant., Afr., N° 50, pp 111-123.
41. Gyédon S, (2018), La frontière romaine de l'AFRICA sous le haut-Empire, Madrid, Casa de Velàzqvez.
42. Hamdoune M, (2018). *Adfines Africae Romanae*, Les mondes tribaux dans les provinces maurétaniennes, Bourdeaux, Ausonius édit.
43. Hamdoune, Ch, (2001). Les points de ralliement des gentes. In: Ant. Afr., N° 37, pp 93-104.
44. Hamdoune, Ch, (2009). Les macella dans les cités de l'Afrique romaine. In: Ant. Afr., N° 45.
45. Hanotheau A., Letourneux A., (1882). La Kabylie et les coutumes kabyles, V. 2, Paris, Imprimerie Nationale.
46. Hlivelin P, Paul L, et autres, (1929). Etudes d'histoire du droit commercial romain : Histoire externe, droit maritime, Paris, Sirey,
47. Kajanto I, (1965). The Latin Cognomina (Societas Scientiarum Fennica. Commentationes Humanarum Litterarum, XXXVI 2). Helsinki.
48. Khanoussi M, (1992). présence et rôle de l'armée romaine dans la région des Grandes plaines (Afrique Proconsulaire), in Afr. Rom, IX, Rome, Sassari, 1992, pp 319-328.
49. Khanoussi M, (2000). L'armée romaine et la police des domaines impériaux en Afrique proconsulaire, dans Afr. Rom., XIII, V 2, Rome, Garocci editore, pp 1131-1137.

50. Lancel S, (1968). Suburbures et Nicibes : une inscription de Tigisis, Libyca. Arc., Epi., N° 3, 1955, pp 289-298.
51. Lassère J-M, (1981). peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères, Annales de géographie, V. 90, Aix, CNRS.
52. Leschi L, (1942). Inscriptions du Castellum Tedditanorum, R.S.A.C., N° 65, pp 154-183.
53. Leschi L, (1957). Etudes d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines, Paris, Arts et métiers graphiques, pp 145-159
54. Leveau Ph, (2018). Climat, sociétés et environnement aux marges sahariennes du Maghreb : Un approche historiographique, in : Guédon S., la frontière méridionale du Maghreb et ses formes : essai de définitions (Antiquité-Moyen Age), Bordeaux, Ausonius.
55. Leveau Ph, (1985). Richesses, investissements, dépenses à la recherche des revenus des aristocraties municipales de l'Antiquité, dans Ph. Leveau éd., L'origine des richesses.
56. MacMullen R, (1970). Market-Days in the Roman Empire, Phoenix, Vol. 24, (N°. 4), Classical Association of Canada, pp 333-341.
57. Marvin Mikesell W, (1958), The Role of Tribal Markets in Morocco: Examples from the "Northern Zone", *Geographical Review*, Vol. 48 (N° 4.), pp 494-511.
58. Monnier H, (1898). compte rendu de Cuq E., Le colonat partiaire dans l'Afrique romaine d'après l'inscription d'Henchir Mettich, Nouvelle revue historique du droit français et étranger.
59. Morel, J-P, (1987). La topographie de l'artisanat et du commerce dans la Rome antique, dans *L'Vrbs : Espace urbain et histoire*, Rome (CEFR, 98).
60. Morizot P, (2009). Les échanges commerciaux entre la côte méditerranéenne et à l'intérieur du Maghreb au IIe siècle vus au travers du tarif Zaraï, dans Jean-René Gaborit (éd), "Circulation des matières premières en Méditerranée, transferts de savoirs et technique", Paris, CTHS, pp 158-171.
61. Morley N, (2000). Markets, marketing and the roman élite, dans E. Lo Cascio éd., Mercati permanenti e mercati periodici nel mondo romano, Atti degli incontri capresi di storia dell'economia antica (Capri 13-15 ottobre 1997), Bari.
62. Nollé, J, (1982). Nundinas instituere et habere. Epigraphische Zeugnisse zur Einrichtung und Gestaltung von ländlichen Märkten in Afrika und der Provinz Asia. Hildesheim, pp 88-151.
63. Optat de Milev, (1893). De schismate donatistarum, édi. Zira, C., C.S.E.L, t. XXVI, Vienne.

64. Pavis d'Escurac H, (1984). Nundinae et vie rurale dans l'Afrique du Nord romaine, BCTH, nouvelle série, fase. 17 B.
65. Piquet M, (1916). Découverte d'une inscription au doaur d'Ain-Melouk, Constantine, B.C.T.H., pp 62-69.
66. Pline l'ancien, (1980). H. N., trad. Desanges J., Paris, Les Belles Lettres.
67. Poulle A, (1875). Les marchés des Beni-Zian (Castellum Mastarense) et d'Ain-Mechira, R.S.A.C, 17, pp 357-374.
68. Rich, A, (1883). dictionnaires des antiquités romaines *et grecques*, Paris, Firmin-Didot et Cie.
69. Salama p, (1951). Les Voies romaines de l'Afrique du Nord, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie.
70. Salluste, (2003). Guerre de Jugurtha, trad. par : Charles du rozier et Yves Germain, éd Paléo, Paris.
71. Shaw, B.D, (1981). Rural Markets in North Africa and the political economy of the Roman Empire, Ant. Afr., N° 17.
72. Soyer Y, (1973). Les Cadastres anciens de la région de Saint-Donat, Ant. Afr., N° 7, pp 275-292.
73. Ste Croix G. E. M, (1975). *The Origins of the Peloponnesian War, The American Journal of Philology*, Vol. 96, No. 1, pp 90-93.
74. Thouvenot, R, Liquet A., (1951). Le macellum (?) et les bâtiments voisins", in: PSAM, N° 9, pp 81–99.
75. Toulain J, (1916). Observations sur l'inscription d'Ain Melouk (Algérie), BCTH, pp 62-69.
76. Trousset P, (2002). Le tarif de Zaraï : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne. In: Ant .Afr., N° 38-39, pp 355-373.
77. Walde, A, (1940). Hofmann (J. B), Latin étymologiques Wörterbuch, 3e éd., fascicule 12, Heidelberg.
78. Waltzing J.P, (1970). Étude historique sur les corporations professionnelles chez les Romains, New York.
79. Whittaker Ch, (1978). Land and Labour in North Africa, Klio, N° 60, Berlin, Akademie-Verlag,.
80. Wilmans G, (1875). S. C. de nundinis Saltus Berguensis, Ephemeris Epigraphica, corporis inscriptinum latinarum supplementum, II.